ومن أَفْنَاء القبائل: من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة: نوفلُ بْنُ معاويةَ بن عُرْوَة بن صَخر بن رَزْنٍ بن يَعْمَر بن نُفَاثة بن عديّ بن الدِّيل؛ ومن بني قَيْس، ثم من بني عامر بن صَعْصَعَة، ثم من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة: علقمةُ بْنُ عُلاَثة بْنِ عَوْف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، وَلبِيدُ بْنُ ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب، ومن بني عامر بن ربيعة: خالدُ بْنُ هَوْذَة بْنِ ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وحَرْمَلَة بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو؛ ومن بني نَصْر بن معاوية: مالكُ بن عَوْف بن سعيد بن يَرْبُوع؛ ومن بني سُلَيم بن منصور: عَبَّاس بن مِرْدَاس بن أبي عامر، أخو بني الحرث بن بُهْثَةَ بن سُليم؛ ومن بني غَطَفَان، ثم من بني فَزَارَة: عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْن بْنِ حُذَيْفة بن بدر؛ ومن بني تميم، ثم من بني حَنْظَلَة: الأقرع بن حابس بن عِقَال، من بني مجاشع بن دارم [١٠٣٨].

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي محمدُ بْنُ إبراهيم بن الحرث التَّيْمِي، أن قائلاً قَالَ لرسولِ الله ﷺ مِنْ أَصْحَابِهِ: يا رسولَ الله، أَعْطَيْتَ عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ وَالأَقْرعَ بن حابس مائةً مائةً، وَتركتَ جُعَيْل بن سُرَاقة الضَّمْرِيَّ، فقال رَسُولُ الله ﷺ: «أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَجُعَيْل بْنُ سُرَاقَةَ خَيْرٌ مِنْ طِلاَعِ الأَرْضِ كُلُّهُمْ مِثْلُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ وَالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، وَلٰكِنِّي تَأَلَّفْتُهُمَا لِيُسْلِمَا وَوَكَلْتُ جُعَيْلَ بْنَ سُرَاقَةَ إِلَى إِسْلاَمِهِ» [١٠٣٩].

شأن ذي الخويصرة التميمي

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي أبو عبيدة بن محمد بن عَمَّار بن ياسر، عن مِقْسَم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحرث بن نوفل، قال: خَرَجْتُ أنا وَتَليدُ بن كلاب الليثي حَتَّى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو يَطُوفُ بالبيتِ مُعَلِّقاً نَعْلَهُ بِيَدِهِ، فقلنا له: هَلْ حَضَرْتَ رسولَ الله ﷺ، حين كَلَّمه التميميُّ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قال: نعم، جَاءَ رَجُلٌ من بني تميم يُقَالُ له: ذو الْخُوَيْصِرة، فَوَقَفَ عليه وهو يُعْطِي الناسَ، فقال: يا محمد، قَدْ رَأيتُ ما صَنَعْتَ في هذا اليوم، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَجَلْ، فَكَيْفَ رَأَيْتَ»؟ فقال: لم أَرَكَ عَدَلْتَ، قال: فَغَضِبَ النبيُّ ﷺ، ثم قال: «وَيْحَكَ! إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعَدْلُ عِنْدِي، فَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ»؟

[١٠٣٨] ينظر «البداية والنهاية» (٤/ ٤١٢ـ٤١٣) و«سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٣٩٩ـ٤٠٠).

[١٠٣٩] إسناده ضعيف؛ لإرساله.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٩١) والبيهقي (٥/ ١٨٣) من طريق ابن إسحاق.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤١٤) والصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٤٠١) من طريق ابن إسحاق.

فقال عمر بن الخطاب: يا رَسُولَ الله أَلاَ أَقْتُلُهُ؟ فقال: «لاَ، دَعْهُ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ (٢٤٩/ب) لَهُ شِيعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ[١] حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ[٢]، يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ[٣] فَلاَ يُوجَدُ شَيْءٌ، ثم فِي الْقِدْحِ[٤] فَلاَ يُوجَد شَيْءٌ، ثُمَّ فِي الْفُوقِ[٥] فَلاَ يُوجَدُ شَيْءٌ، سَبَقَ الْفَرْثَ[٦] وَالدَّمَ» [١٠٤٠].

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر، بمثل حديث أبي عبيدة، وسماه ذا الخويصرة [١٠٤١].

قصيدة لحسان في غضبه لعدم عطاء الأنصار:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن أبيه، بِمِثلِ ذلك [١٠٤٢].

قال ابن هشام: وَلَمَّا أَعْطَىٰ رَسُولُ الله ﷺ مَا أَعْطَىٰ في قريش وقبائل العرب ولم يُعْطِ الأَنْصَار شيئاً، قال حسان بن ثابت يعاتبه في ذلك [من البسيط]:

[١٠٤٠] أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر مقبول يعني عند المتابعة، وإلا فليس، كما نص على ذلك الحافظ في «مقدمة التقريب».
وينظر التقريب (٢/ ٤٤٨).
ومقسم مولى عبد الله بن الحارث: صدوق وكان يرسل. وينظر «التقريب» (٢/ ٢٧٣).
وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٩٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٨٦) كلاهما من طريق ابن إسحاق به.
وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري.
أخرجه البخاري (٧/ ٣٢٤ـ٣٢٥) كتاب المناقب. حديث (٣٦١٠) ومسلم (٢/ ٧٤١). كتاب الزكاة: باب ذكر الخوارج وصفاتهم ـ حديث (١٤٣ـ١٠٦٤) وابن حبان (٦٧٤١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٤٢٧ـ٤٢٨).
[١٠٤١] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٩٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٨٧) كلاهما من طريق ابن إسحاق.
وينظر الحديث السابق.
[١٠٤٢] ينظر الحديث السابق.

---

(١) يَتَعَمَّقُون في الدِّين، أي: يَتَتَبَّعُون أَقْصَاه، وعُمْق الشيءِ: بُعْدُ قَعْرِه وهو بالعَيْن المهملة.
(٢) الرَّمِيَّةَ: الشيءُ الذي يُرْمَى.
(٣) النَّصْلُ: حَدِيدُ السَّهْم.
(٤) القَدْحُ: السَّهْمُ.
(٥) الفُوقُ: طَرَفُ السَّهْم الذي يُباشِر الوَتَر.
(٦) الفَرْثُ: ما يُوجَد في كَرِش ذي الكَرِشَ.

زَادَ الْهُمُومُ فَمَاءُ الْعَيْنِ مُنْحَدِرُ ... سَحّاً إِذَا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دِرَرُ[1]

وَجْداً بِشَمَّاءِ إِذْ شَمَّاءَ بَهْكَنَةٌ ... هَيْفَاءُ لاَ دَنَسٌ فِيهَا وَلاَ خَوَرُ[2]

دَعْ عَنْكَ شَمَّاءَ إِذْ كَانَتْ مَوَدَّتُهَا ... نَزْراً وَشَرُّ وِصَالِ الْوَاصِلِ النَّزِرُ[3]

وَائْتِ الرَّسُولَ فَقُلْ: يَا خَيْرَ مُؤْتَمَنٍ ... لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدِّدَ الْبَشَرُ

عَلاَمَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهْيَ نَازِحَةٌ[4] ... قُدَّامَ قَوْمٍ هُمُ آوَوْا وَهُمْ نَصَرُوا؟

سَمَّاهُمُ اللَّهُ أَنْصَاراً بِنَصْرِهِمُ ... دِينَ الْهُدَى وَعَوَانُ الْحَرْبِ تَسْتَعِرُ[5]

وَسَارَعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهُ وَاغْتَرَفُوا ... لِلنَّائِبَاتِ وَمَا خَامُوا وَمَا ضَجِرُوا[6]

وَالنَّاسُ أَلْبٌ عَلَيْنَا فِيكَ لَيْسَ لَنَا ... إِلاَّ السُّيُوفَ وَأَطْرَافَ الْقَنَا وَزَرُ[7]

نُجَالِدُ النَّاسَ لاَ نُبْقِي عَلَى أَحَدٍ ... وَلاَ نُضَيِّعُ مَا تُوحِي بِهِ السُّوَرُ

وَلاَ نُهِرُّ جُنَاةُ الْحَرْبِ نَادِيَنَا ... وَنَحْنُ حِينَ تَلَظَّى نَارُهَا سُعُرُ[8]

كَمَا رَدَدْنَا بِبَدْرٍ دُونَ مَا طَلَبُوا ... أَهْلَ النِّفَاقِ وَفِينَا يَنْزِلُ الظَّفَرُ

وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ أُحُدٍ ... إِذْ حَزَّبَتْ بَطَراً أَحْزَابَهَا مُضَرُ[9]

فَمَنْ وَنَيْنَا وَمَا خِمْنَا وَمَا خَبَرُوا ... مِنَّا عِثَاراً وَكُلُّ النَّاسِ قَدْ عَثَرُوا[1043][10]

[١٠٤٣] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤١٥).
وينظر «سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٤٠٤)

---

(١) السَّحُّ: الصبُّ، يُقال: سَحَّ المَطَرُ إذا صَبَّ حَفَلَتْهُ، أي: جَمَعَتْهُ، ومنه المَحْفِلُ وهو مُجْتَمَعُ النَّاس، وعَبْرَةٌ: دَمْعَةٌ، وَدَرَرٌ: سائلَةٌ.

(٢) الوَجْدُ: الحُزْنُ، وشَمَّاءُ هنا: اسْمُ امْرأةٍ، وبَهْكَنَةٌ، أي: كَثيرةُ اللَّحم. وهَيْفاءُ: ضامِرَةُ الخَصْر. ولا دَنَسٌ: تروى بثلاث روايات: «لا دنسٌ»، ولا «دَنَسٌ» والأُولى معروفة، ودنن: تطامن الصدر وغوره، ودنن: ما يسيل من الأنف، هكذا قال الشيخ أبو ذر الحشني، والخَوَرُ: الضَّعْفُ.

(٣) النَّزْرُ: القَليلُ.

(٤) نَازِحَةٌ: بعيدةٌ.

(٥) الحربُ العَوانُ: هي التي قويتل فيها مرّةً بعد مرّةٍ، وتَسْتَعِرُ، أي: تَلْتهِبُ وتَشْتَعِلُ.

(٦) اغْتَرَفُوا، أي: صَبَرُوا، ومَا خَامُوا، أي: ما جَبُنُوا. وما ضَجَرُوا، أي: ما أصابَهم حَرَجٌ ولا ضِيق.

(٧) والنَّاسُ أَلْبٌ، أي: مُجْتَمِعُون. والوَزَرُ: المَلْجَأُ.

(٨) لا نُهِرُّ، أي: لا نَكْرَهُ. والنَّادِي: المَجْلِسُ. وسُعُر، أي: نُوقِدُ الْحَرْبَ ونَشْعَلُها.

(٩) والنَّعْفُ: أَسْفَلُ الجَبَل، وحَزَّبَتْ: جَمَعَتْ وأعان بعضُها بعضاً.

(١٠) ما وَنَيْنَا، أي: ما فَتَرْنَا، وينظر ديوانه ص (٢٠٦، ٢٠٧)، والبداية والنهاية (٤/ ٤١٥).

مقالة الأنصار وخطبة رسول الله ﷺ فيهم

قال ابن هشام: حَدَّثَنِي زياد بن عبد الله، قَالَ: حدثنا ابن إسحاق، وَحَدَّثَنِي عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخُدْرِي، قال: لما أعطى رَسُولُ الله ﷺ مَا أَعْطَى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب، ولم يَكُنْ في الأنصارِ منها شيءٌ وَجَدَ هذا الحيُّ من الأنصارِ في أَنْفُسِهِمْ، حتى كَثُرَتْ منهم الْقَالَةُ، حتى قال قائلهم: لقد لقي والله رسولُ الله ﷺ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عليه سَعْد بن عُبَادة، فقال: يا رسولَ الله، إنَّ هذا الحيَّ مِنَ الأنصارِ قَدْ وَجَدوا عليك في أَنْفُسِهِمْ لما صَنَعْتَ في هذا الفيء الذي أَصَبْتَ، قَسَّمْتَ في قَوْمِكَ وأعطيتَ عطَايا عِظَاماً في قَبَائِلِ العربِ، ولم يَكُ في هذا الحيِّ مِنَ الأنصارِ منها شيءٌ، قال: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ»؟ قال: يا رسولَ الله، ما أنا إلا مِنْ قَوْمِي، قال: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هٰذِهِ الْحَظِيرَةِ»[1] قال: فخرج سَعْدٌ فَجَمَعَ الأنصارَ في تلك الحظيرة، قال: فَجَاءَ رِجَالٌ من المهاجرين فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا، وَجاءَ آخرون فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا له أتاه سعد فقال: قد اجتمعَ لك هذا الحيُّ مِنَ الأنصارِ، فأتاهم رسولُ الله ﷺ، فَحمد اللَّهَ، وأثنى عليه بما هو أهلُهُ، ثم قال: «يَا معشَرَ الأنصارِ مَا قَالَةٌ[2] بَلَغَتْنِي عَنْكُم؟ وَجِدَةٌ[3] وَجَدْتُمُوهَا عَلَيَّ فِي أَنْفُسِكُم؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ الله، وَعَالَةً[4] فَأَغْنَاكُمُ الله، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ الله بَيْنَ قُلُوبِكم» قالوا: بلى، الله ورسولهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ[5]، ثم قال: «أَلاَ تَجِيبُونني يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ»؟ قالوا: بِمَاذَا نُجِيبُكَ يا رَسُولَ الله؟ لله ورسوله المنُّ والفَضْلُ، قال ﷺ: «أَمَا وَالله، لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ أَتَيْتَنَا مُكَذَّباً فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولاً[6] فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيداً فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلاً[7] فَآسَيْنَاكَ[8]، أَوَجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لَعَاعَةٍ[9] مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْماً لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلاَمِكُمْ، أَلاَ تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ الله إِلَى رِحَالِكُمْ؟ فَوالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرأً مِنَ

---

(١) الحَظِيرةُ: شِبْهُ الزِّرْب الذي يُصْنَع للمَاشِيَة والإبل.

(٢) القَالَةُ: الكَلامُ الرَّدِيءُ.

(٣) الجِدة: هي الموجدة، والموجدَة: العِتابُ، وأكْثَر ما تكون الجدَةُ في المال.

(٤) العالَةُ: الفُقَراءُ.

(٥) أَمَنُّ: هو مِنَ المِنَّةِ، وهي النِّعْمَةُ.

(٦) المخْذولُ: هو المتروك، يُقال: خَذَلَه القومُ إذا تَرَكوه ولم يَنصرُوه.

(٧) العائِلُ: الفَقِير، وقد تقدم.

(٨) آسَيْنَاكَ، أي: أعْطَيناكَ حتى جَعلْناك كَأَحَدِنا.

(٩) اللُّعاعة: بَقْلَةٌ خَضراءُ ناعِمَةٌ شَبَّهَ بها زَهْرَةَ الدُّنيا ونَعِيمَهَا.

الأنصارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْباً[1] وَسَلَكَتِ الأنصارُ (٢٥٠/أ) شِعْباً لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأنصارِ، اللَّهُمَّ، ارْحَمِ الأنصارَ وَأَبْنَاءَ الأنصارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأنصارِ» قال: فبكى القومُ حَتَّىٰ أَخْضَلُوا لحاهم[2]، وَقَالُوا: رَضِينَا برسولِ الله قسْماً وَحَظًّا، ثم انصرفَ رَسُولُ الله ﷺ، وتفرقوا [١٠٤٤].

عُمْرَةُ رَسُولِ الله ﷺ مِنَ الْجِعْرَانَةِ وَاسْتِخْلَافُهُ عَتَّابَ بْنَ أَسِيدٍ عَلَىٰ مَكَّة، وَحَجُّ عَتَّابٍ بِالْمُسْلِمِينَ، سَنَةَ ثَمَانٍ

قال ابن إسحاق: ثم خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ من الْجِعْرَانَة معتمراً، وَأَمَرَ ببقايا الْفَيءِ فحُبِسَ بِمَجَنَّة بناحية مَرِّ الظَّهْرَان، فلمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ عُمْرَته انْصَرَفَ رَاجِعاً إلى المدينة، واستخلف عَتَّاب بن أسيد على مَكَّةَ، وَخَلَّفَ معه مُعَاذ بن جَبَل يُفَقِّه النَاسَ في الدينِ وَيُعَلِّمُهُم القرآنَ، واتُّبع رسول الله ﷺ ببقايا الفيء [١٠٤٥].

رسول الله يرزق عامله كل يوم درهماً

قال ابن هشام: وبلغني عن زيد بن أسلم أنه: قَالَ لمَّا استعملَ النبيُّ ﷺ عَتَّاب بن أَسيد على مكَّةَ رَزَقَه كلَّ يومٍ دِرْهَماً، فقام، فخطب الناسَ، فقال: أَيُّهَا النَّاسُ، أَجَاعَ الله كَبِدَ مَنْ جاعَ على درهمٍ، فقد رزقني رسولُ الله ﷺ درهماً كُلَّ يومٍ، فليست بي حاجةٌ إلى أَحَدٍ [١٠٤٦].

قال ابن إسحاق: وكانت عُمْرَةُ رسولُ الله في ذي القعدة، فقدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ في بقيةِ ذي القعدة، أو في أول ذي الحجة [١٠٤٧].

[١٠٤٤] إسناده حسن

وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

وأخرجه أحمد (٣/ ٧٦) والطبري في «تاريخه» (٣/ ٩٣ـ٩٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٧٦ـ١٧٧) من طريق محمد بن إسحاق.

[١٠٤٥] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٩٤ـ٩٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٠٢ـ٢٠٣) كلاهما من طريق ابن إسحاق.

[١٠٤٦] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤٠/ ٤٢٢) عن ابن هشام.

[١٠٤٧] ينظر المصدر السابق.

---

(١) الشِّعْبُ: الطريق بين جَبَلَين.

(٢) حتى أخضلوا لِحاهُم، أي: بَلُّوها بالدُّموع، والغُصْنُ الخَضِلُ: هو الذي بَلَّهُ المَطَرُ.

قال ابن هشام: وَقَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المدينَةَ لستٍّ ليالٍ بَقِينَ مِنْ ذي القعدةِ، فيما قال أبو عمرو المدني [١٠٤٨].

قال ابن إسحاق: وَحَجَّ الناسُ تلك السنةَ عَلَىٰ ما كانت العربُ تَحجُّ عليه، وَحَجَّ بالمسلمين تلك السَّنَة عَتَّاب بن أسيد، وهي سنة ثمانٍ، وَأَقَامَ أهلُ الطائفِ على شِرْكِهِمْ وامتناعِهِم في طائفهم، ما بين ذي القعدة إذ انصرفَ رسولُ الله ﷺ إلى شَهْرِ رَمَضَانَ من سنةِ تسعٍ [١٠٤٩].

أَمْرُ كَعْب بْنِ زُهَيْرٍ، بَعْدَ الانْصِرَافِ عَنِ الطَّائِفِ

نصيحة بجير لأخيه كعب

ولمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ من مُنْصَرَفِهِ عَنِ الطائفِ كتب بُجَيرُ بن زُهَيْر بن أبي سُلْمَى إلى أخيه كَعْب بن زُهَيْر يخبرُهُ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَتَلَ رجالاً بمكَّة ممن كان يَهْجُوهُ ويؤذيه، وأَنَّ مَنْ بقي من شعراءِ قريشٍ ابنَ الزِّبَعْرَي وهُبَيْرَةَ بن أبي وهب قد هربوا في كُلِّ وَجْه، فَإِنْ كانت لك في نَفْسِكَ حاجةٌ فَطِرْ إلى رسولِ الله ﷺ؛ فإنه لا يَقْتُلُ أحداً جاءه تائباً، وإنْ أَنْتَ لم تَفْعَلْ، فَانْجُ إلى نَجَائِكَ مِنَ الأرضِ، وكان كعب بن زهير قال [من الطويل]:

أَلاَ أَبْلِغَا عَنِّي بُجَيْراً رِسَالَةً ... فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتُ وَيْحَكَ هَلْ لَكَا؟
فَبَيِّنْ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ ... عَلَى أَيِّ شَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ دَلَّكَا
عَلَى خُلُقٍ لَمْ أُلْفِ يَوْماً أَبَاً لَهُ ... عَلَيْهِ وَمَا تُلْفِي عَلَيْهِ أَبَاً لَكَا
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِآسِفٍ ... وَلاَ قَائِلٍ: إِمَّا عَثَرْتَ لَعاً لَكَا[1]
سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأْساً رَوِيَّةً ... فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا [١٠٥٠][2]

قال ابن هشام: ويروى: «المأمور» وقوله: «فبيِّن لنا» عن غير ابن إسحاق، وأنشدني، بَعْضُ أهلِ العلمِ بالشِّعْرِ، وَحَديثه [من الطويل]:

[١٠٤٨] ينظر المصدر السابق.

[١٠٤٩] ينظر المصدر السابق.

[١٠٥٠] أخرجه الحاكم (٣/ ٥٨٣) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٧٦ـ١٧٨) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢١١) كلهم من طريق ابن إسحاق به.
وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٢٣) عن ابن إسحاق أيضاً.

---

(١) فَلَسْتُ بآسِفٍ، أي: بنَادِم. لَعاً لَك، لَعاً: كَلِمَةٌ تُقال للعاثِر، ومعناها قُمْ وانْتَعِشْ.

(٢) النَّهَلُ: الشَّرْبُ الأَوَّلُ، والعَلَلُ: الشُّرْبُ الثَّاني. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٤٢٣).

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي بُجَيْراً رِسَالَةً ... فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ بِالْخَيْفِ هَلْ لَكَا؟[1]
شَرِبْتَ مَعَ الْمَأْمُونِ كَأْساً رَوِيَّةً ... فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا
وَخَالَفْتَ أَسْبَابَ الْهُدَى وَاتَّبَعْتَهُ ... عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَيْبَ غَيْرِكَ دَلَّكَا[2]
عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلْفِ أُمًّا وَلاَ أَباً ... عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخاً لَكَا
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِآسِفٍ ... وَلاَ قَائِلٍ إِمَّا عَثَرْتَ: لَعاً لَكَا [١٠٥١][3]

قال: وبعث بها إلى بُجَير، فلمَّا أتت بُجيراً كَرِهَ أَنْ (٢٥٠/ب) يكتمَها رَسُولَ الله ﷺ، فَأَنْشَدَهُ إياها، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لما سَمِعَ: «سَقَاكَ بِهَا المأمون»: «صَدَقَ وَإِنَّهُ لَكَذُوبٌ، أنا المأمون» ولما سَمِعَ: «عَلَى خُلُقٍ لم تلفِ أما ولا أبا عليه» قال: «أَجَلْ، لَمْ يُلْفِ عَلَيْهِ أَبَاهُ وَلاَ أمه»، ثم قال بجير لكَعْب [من الطويل]:

مَنْ مُبْلِغٌ كَعْباً فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي ... تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلاً وَهْيَ أَحْزَمُ؟
إِلَى اللَّهِ، لاَ الْعُزَّى وَلاَ الُّلاتِ، وَحْدَهُ ... فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النَّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لاَ يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ ... مِنَ النَّاسِ إِلاَّ طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَدِينُ زُهَيْرٍ وَهْوَ لاَ شَيْءَ دِينُهُ ... وَدِينُ أَبِي سُلْمَى عَلَيَّ مُحَرَّمُ[4]

قال ابن إسحاق: وإنما يقولُ كعب: «المأمون» (ويقال: «المأمور» في قول ابن هشام) لقولِ قريش الذي كانت تقولُهُ في رسولِ الله ﷺ [١٠٥٢].

خوف كعب ومجيئه المدينة

قال ابن إسحاق: فلمَّا بَلَغَ كعباً الكتابُ ضَاقَتْ بِهِ الأرضُ، وَأَشْفَقَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَأَرْجَفَ به من كان في حَاضِرِهِ من عَدُوِّهِ، فقالوا: هو مقتولٌ، فلَمَّا لم يَجِدْ من شيءٍ بُدًّا، قال قصيدته التي يَمْدَحُ فيها رسولَ الله ﷺ وذكر فيها خَوْفَهُ وإرجافَ الوشاةِ به من عدوِّه، ثم خَرَجَ حتى قدم المدينة، فَنَزَلَ على رَجُلٍ كانت بينه وبينه معرفةٌ من جهينةَ، كما ذكر

[١٠٥١] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٢٣) عن ابن هشام.
[١٠٥٢] ينظر «البداية والنهاية» (٤/ ٤٢٤).

---

(١) الخَيْفُ: أَسْفَلُ الجَبَل.
(٢) وَيْبَ غَيْرِكَ، وهو بِمَعْنَى: وَيْحَ غَيْرِك.
(٣) ينظر البداية والنهاية (٤/ ٤٢٣).
(٤) فَدِينُ زُهَيْرٍ وهو لا شَيءَ دِينُهُ، يعني: أباه. وَدينُ أبي سُلْمَى: يعني جَدَّهُ. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٤٢٤).

لي، فَغَدَا به إلى رسولِ الله ﷺ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، فَصَلَّىٰ مَعَ رسولِ الله ﷺ، ثم أَشَارَ له: إلى رسولِ الله ﷺ، فَقَالَ: هذا رسولُ الله، فقم إليه فاسْتَأْمِنْهُ، فذُكِر أنه قَامَ إلى رسولِ الله ﷺ حتى جَلَسَ إليه، فَوَضَعَ يَدَهُ في يَدِهِ، وكان رسولُ الله ﷺ لا يعرفُهُ، فقال: يا رسولَ الله، إنَّ كَعْبَ بن زهير قد جَاءَ ليستأمن مِنْكَ تائباً مسلماً، فهل أنت قَابِلٌ منه إن أنا جئتُكَ به؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «نعم» قال: أَنَا يا رسولَ الله كعبُ بن زهير [١٠٥٣].

قصيدة كعب في مدح النبي وهي البردة

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وَثَبَ عليه رَجُلٌ من الأنصارِ، فقال: يا رَسُولَ الله، دَعْنِي وَعَدُوَّ الله، أَضْرِبُ عُنُقَهُ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «دَعْهُ عَنْكَ؛ فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ تَائِباً نَازِعاً عَمَّا كَانَ عليه» قال: فَغَضِبَ كعب على هذا الحيِّ من الأنصارِ لما صَنَعَ به صاحبُهم، وذلك أنه لم يَتَكَلَّمْ فيه رَجُلٌ من المهاجرين إلاَّ بخيرٍ، فَقَالَ قَصِيدَتَهُ التي قال حين قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ[1] [من البسيط]:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ[2]

[١٠٥٣] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٢٤).

---

(١) قصيدة كعب يُقال لها: «قصيدة بانت سُعاد» لأنه أوّلها، واسمها في الحقيقة «قصيدة البردة». وقد شرحَها من المتقدمين مشيخة من العلماء، ومن المتأخرين جِلّة من الأماثل الفضلاء. ومن أذكاهم فهماً، وأوفاهم علماً، وأصفاهم قريحة سمحة، وأشدهم فطنةً تدرك اللّمحة، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاريّ، فإنه رحمه الله شرح هذه القصيدة شرحاً يجلُّ عن الوصف، ويكلّ الذهنُ عن إدراك مزاياه وإن كان حديد الطّرفِ. ينظر حاشية بانت سعاد (١/ ١٩).

(٢) بانتْ: ذَهَبَتْ وفارَقَتْ. والبَيْنَ: الفراقُ: وسُعادُ: اسْمُ امرأةٍ، ومَتْبولُ: هالكٌ، وأصْلُه منَ التَّبْل وهو طَلَبُ الثأر، ومُتَيَّمٌ: مُعَبَّدٌ مُذَلَّلٌ، ومنه تَيْمُ اللاّت أي: عبدُ اللاّت.
والمصراع الأول قد وقع صدرَ قصيدةٍ للشمّاخ وهو صَحَابِيٌّ أيضاً، قال ابن السّكّيت في كتاب «سرقات الشعراء»: هذا ما اتفقَ من الأبيات لشاعرين مختلفين إلا القافية. قال امرؤ القيس [من الطويل]:

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيَّهُم ... يقولون: لا تهلك أسًى وتجَمَّلِ

وقال طَرَفةُ [من الطويل]:

وقوفاً بها صَحبي عليَّ مطيَّهُم ... يقولون: لا تهلك أسًى وتجلَّدِ

وقال الشمّاخ [من البسيط]:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... وكان مِنْ قِصَرٍ من عهدها طول

وأورد من هذا النمط ما يزيد على مائة بيت؛ وأمّا القصائد التي أوّلها «بانت سعاد» فكثيرة تزيد على خمسمائة قصيدة، منها قول ربيعة بن مقرُوم وهو مُخَضْرَمٌ [من البسيط]:

بانت سعاد فأمسى القلبُ معمودا ... وأخلَفَتْكَ ابنةُ الحُرّ المواعيدا

ينظر حاشية بانت سعاد (١/ ١٦٩).

وَمَا سُعَادُ[1] غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا ... إِلاَّ أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ[2]

هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً ... لاَ يُشْتَكَى قِصَرٌ مِنْهَا وَلاَ طُولُ[3]

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ ... كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ[4]

شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ ... صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ[5]

---

(١) قال صاحب «النبراس»: سعادُ المذكورة في أول القصيدة هي امرأة كعب، وهو مسبوقٌ بالنَّوَويّ فإنه قال في كتاب «تهذيب الأسماء واللغات» سعاد امرأة كعب بن زُهير المرادة بقوله:

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ ..... .

مذكورة في المهذّب في الشهادات في سماع الشعراء، انتهى. وذكر ابن الحنبليّ في «رسالة تقسيم الشعر» أنّ التشبيب بالزوجة ليس مُحرماً، وذكر السمرقندي في كتاب «الأحكام» أنّ كعباً لما أنشده ﷺ «بانت سعاد» قال منكراً: من سعاد؟ فقال: سعاد زوجتي، فاستمعَها. هذا ولا يخفى أن تشبيب الشاعر بزوجته مستبعد مروءة ونخوة لا سيما عند العرب، والله أعلم، وحملُ التشبيب على امرأة يدّعي عِشقها أسْلمُ وأكرَمُ، ينظر حاشية بانت سعاد (١/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

(٢) الأغَنُّ هنا: الصبيُّ الصغيرُ الذي في صَوْتِهِ غُنَّةٌ وهو صوْتٌ يَخْرُج من الخياشيم. وغَضِيضُ الطَّرْف: فاترُ الطَّرْف.

(٣) هَيْفاءُ: ضامِرَةُ البَطْن والخَصْر، وعَجْزاءُ: عظيمةُ العَجِيزة وهي الرِّدْفُ.

(٤) تَجْلُو، أيْ: تَصْقُلُ. والعَوارِضُ هنا: الأسْنَانُ، والظَّلْمُ: شِدَّةُ بَرِيق الأسنان، ويُقالُ: هو ماؤها. وَمُنْهَلٌ: مَسْقِيٌّ، والرَّاح: من أسْماءِ الخَمْرِ. والمصراع الثاني وقع في شِعْرِ جِرَانِ العَوْدِ وهو:

تُجْرِي السِّوَاكَ على عَذْبٍ، مُقَبَّلُهُ ... كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ

والبيت من قصيدة له هي أوَّلُ ديوانِهِ.

وجِرانُ العَوْدِ شاعر جاهِليٌّ، وهو لُقِّبَ به لِقَوْلِهِ يُخاطِبُ امْرَأتيه [من الطويل]:

رَأَيْتُ جِرَانَ العَوْدِ قد كاد يُصْلِحُ ..... .

والجِران ـ بكسر الجيم ـ: باطِنُ العُنُقِ الذي يَضَعُهُ البَعِيرُ على الأرض إذا مَدَّ عُنُقَهُ لِيَنَامَ، كَانَ يُعْمَلُ منه الأسْوَاطُ لِلضَّرْبِ، وَالعَوْدُ ـ بفتح العين المهملة وسكون الواو وآخره دال مهملة ـ: هو الجَمَلُ المُسِنُّ، اتَّخَذَ منه سَوْطاً وهَدَّدَهُمَا به. ينظر حاشية بانت سعاد (١/ ٤٠٤).

(٥) قال الجوهري: وشجّت السفينة البحر أي: شقّته، وشَجَجْتُ المَفَازَةَ: قَطَعْتُها، قال الشاعر [من الطويل]:

تَشُجُّ بِيَ الْعَوْجَاءُ كُلَّ تَنُوفَةٍ ... كَأَنَّ لَهَا بَوًّا بِنِهْيِ تُغَاوِلُهْ

انتهى.

شُجَّتْ: مُزِجَتْ. بِذِي شَبم، يعني: ماءً بارداً، والشَّبَمُ: البَرْدُ، والمَحْنِيَةُ: مُنْتَهى الوَادِي، ويُقال: ما انْعَطَف منه. وأبْطَحُ: مَوْضِعٌ مَهْلٌ وَمَشْمُولٌ: عليه ريحُ الشَّمال وهي عندهم باردَةٌ إذَا هَبَّتْ.

أراد كعب ريحاً طيبة بعد ريح مثلها على سبيل التناوب لا الرياح جميعها، فإن الماء لا يصفو عند هبوب الرياح جميعها، وأما الريح الشديدة فهي آية عذاب، وجمعها آية رحمة، قال السيوطي في الإتقان: الريح ذكرت مجموعة ومفردة، فحيث ذكرت في سياق الرحمة جمعت أو سياق العذاب أفردت، أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن أُبيّ بن كعب قال: كل شيء في القرآن من الرّياح فهي رحمة، وكلّ شيء فيه من الريح فهو عذاب، ولهذا أورد في الحديث: «اللّهُمَّ اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً». وذكر في حكمة ذلك أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والهيئات والمنافع، وإذا =

تَـنْـفِـي الـرِّيَـاحُ الْـقَـذَى عَـنْـهُ وَأَفْـرَطَـهُ مِـنْ صَـوْبِ غَـادِيَـةٍ بِـيـضٌ يَـعَـالِـيـلُ[1]
فَـيَـالَـهَـا خُـلَّـةً لَـوْ أَنَّـهَـا صَـدَقَـتْ بِـوَعْـدِهَـا أَوْ لَـوَ أَنَّ الـنُّـصْـحَ مَـقْـبُـولُ[2]

= هاجت منها ريح أثير لها من مقابلها ما يكسر سورتها، فينشأ من بينها ريح لطيفة تنفع الحيوان والنّبات فكانت في الرحمة رياحاً، وأما في العذاب فإنها تأتي من وجه واحد ولا معارض لها ولا دافع، وقد خرج عن هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] وذلك لوجهين، لفظي: وهو المقابلة في قوله: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢] وربّ شيء يجوز في المقابلة ولا يجوز استقلالاً نحو ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [٣/ ٥٤]؛ ومعنوي: وهو أن تمام الرحمة هناك إنما يحصل بوحدة الريح لا باختلافها، فإن السفينة لا تسير إلاّ بريح واحدة من وجه واحد، فإذا اختلفت عليها الريح كان سببَ الهلاك، فالمطلوب هناك ريح واحدة، ولهذا أكد هذا المعنى بوصفها بالطيّب، وعلى ذلك أيضاً جرى قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ﴾ [الشورى: ٣٣]، وقال ابن المنير: إنه على القاعدة لأنّ سكونَ الريح عذابٌ وشدةٌ على أصحاب السُّفن. وقال الحريري في درة الغواص: ذكر أهل التفسير أنه لم يأتِ لفظ الرِّياح إلاّ في الخير، قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤] وقال تعالى: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ [الذاريات: ٤١] وقال في الرِّياح: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦] وهذا هو معنى دعائه عليه الصّلاة والسّلام عند عصوف الريح: «اللّهُمّ اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»؛ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: هاجت ريح أشفق منها رسول الله ﷺ ثم استقبلها وجثا على ركبتيه ومدّ يديه إلى السماء ثم قال: «اللّهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً، اللّهُمّ اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً»؛ وذكر ابن عمران: الرياحُ المذكورة في القرآن ثمان أربع رحمة وأربع عذاب، فأما التي للرحمة فالمبشرات والمرسلات والذاريات والناشرات، وأمّا التي للعذاب فالصرصر والعقيم، وهما في البر، والعاصف والقاصف، وهما في البحر، انتهى كلامُ الحريري. ينظر حاشية بانت سعاد (١/ ٥٧١ ـ ٥٧٢).

(١) القَذَى: ما يَقَع في الماء من تِبْنٍ أو عُودٍ أو غَيْره، وكذلك ما يَقَع في العين أيضاً. وأفْرَطَهُ، أي: سَبَق إلَيْهِ ومَلأهُ. وصَوْبٌ: مَطَرٌ، وغادِيَةٌ: سَحَابَةٌ مَطَرَتْ بالغُدُوّ، واليَعَالِيلُ: الحَبَابُ الذي يَغلو على وَجْهِ الماءِ وهي رُغْوَتُه.

(٢) ويروى:

أكرم بها خلة . . . . . .

وقوله: «أكرم بها» في المصباح: كرم الشيء كرماً: نفس وعز، وكرائم الأموال: نفائسها وخيارها وأكرمته إكراماً.

«ويروى يا ويحها خلّة وويلمها خلّة»: لم يروِ أبو العباس الأحول غيرَها، وزادهما نفطويه على رواية: أكرمْ بها خُلّةً، ولم يروهما الخطيبُ التبريزي ولا عبد اللطيف البغداديّ، وروى الأربعةَ الشارحُ البغداديّ، وكلُّ من الكلمتين تُقالُ للشيء الحسن لدفع إصابةِ العينِ عنه، والأولى كلمة رحمةٍ وإشفاق تُشْعِرُ أنّ القولَ له تلك قد أصابه مكروه فيتوجع له ويترحّم عليه، والثانية كلمةُ ذم خرجت مخرجَ المدح، والعربُ تستعملُ لفظَ الذمّ في المدح، يُقال: أخزاه الله ما أشعرَهُ، ولعنه الله ما أجرأه، وكذلك تستعملُ لفظَ المدح في الذم، يُقال للأحمق: يا عاقل، وللجاهل: يا عالمُ، ومعناه: يا أيها العاقل عند نفسه أو عند من يظنه عاقلاً؛ وأما قولهم: أخزاه الله ما أشعره ونحو ذلك من المدح الذي يخرجونه بلفظ الذمّ فلهم في ذلك غرضان، أحدهما: أنّ الإنسان إذا رأى الشيء =

لَـكِـنَّـهَـا خُـلَّـةٌ قَـدْ سِـيطَ مِـنْ دَمِـهَـا فَـجْـعٌ وَوَلْـعٌ وَإِخْـلاَفٌ وَتَـبْـدِيـلُ[1]

= فأثنى عليه ونطق باستحسانه فربما أصابه بالعين وأضرّ به فيعدلون عن مدحه إلى ذمه لئلا يؤذوه، والثاني: أنهم يريدون أنه قد بلغ غاية الفضل، وحصل في حد من يذم ويُسَبُّ؛ لأن الفاضل يكثر حساده والمعادون له، والناقص لا يُلتَفَتُ إليه، ولذلك كانوا يرفعون أنفسهم من مهاجاة الخسيس ومجاوبة السفيه. وفي القاموس: رجلٌ وَيْلُمِّهِ ـ بكسر اللام وضمها ـ داهٍ، ويُقال للمستجاد: ويلمِّه، أي ويل لأمه، كقولهم: لا أب لك، فركّبوه وجعلوه كالشيء الواحد ثم لحقته الهاء مبالغةً كداهية، انتهى. وهذا استعمال ثان جعل المركّبَ في حكم الكلمة الواحدة، وليست الهاء في آخره بضمير، بل هي تاء تأنيث للمبالغة فلا تعريفَ؛ ولهذا يقع وصفاً لنكرة، قال أبو زيد في كتاب «مسائية»: يُقال: هو رجل وَيلُمِّهِ، قال ابن جنّي في «سر الصناعة»: هو من قولهم: ويلمّ سعد سعداً، والاشتقاقُ من الأصوات بابٌ يطولُ استقصاؤه، وعلى هذا يجوز دخول لام التعريف عليه، قال الرياشي: الوَيْلُمَّةِ من الرجال الداهية الشديد لا يُطاق، انتهى. ينظر حاشية بانت سعاد (١/ ٦٤٣ ـ ٦٤٤).

والخُلَّةُ هنا: الصَّدِيقَةُ؛ يُقال: هي خُلَّتي أي: صَديقَتي وصاحِبَتي.

(١) قال الخشني: قَدْ سِيطَ من دَمِهَا: يُرْوَى بالسِّين وبالشِّين، فَمَن رَواه بالسِّين المُهملة فمعناه: خُلِطَ، تقولُ: سُطْتُ الشَّيءَ أسُوطُه: إذا خَلَطْتَهُ وَمَزْجتَهُ. ومَن روَاه بالشِّين المعجمة، فمعناه: غَلاَ وارْتَفَع، يُقال: شاطَ الدَّمُ يَشيطُ: إذا غَلاَ، وبالسِّين المهملة أحْسَنُ في المَعْنى، والوَلْعُ: الكَذِبُ.
وهذا وأمثاله من أقاويل العشاق ليس بذمّ صِرْفٍ إنما يوردونه لأحد غرضين، إما لإظهار التلذّذ بالصبر على ما يفعله المعشوق والرضا بأفعاله، كما قال ابن أبي الحديد [من الكامل]:

مُـتَـغَـيِّـرٌ مُـتَـلَـوِّنٌ مُـتَـعَـتِّـبٌ مُـتَـعَـنِّـتٌ مُـتَـمَـنِّـعٌ مُـتَـدَلِّـلُ

ذكر عدةَ خصالٍ من جناية الحبيب وتجنيه وتلونه وتأبّيه، ثم قال بعد ذلك:

أَسْـتَـعْـذِبُ الـتَّـعْـذِيبَ فِـيـهِ كَـأَنَّـمَـا جُرَعُ الحَمِيمِ هِيَ البَرُودُ السَّلْسَلُ

وإما لتنفير مَنْ يسمعُ بحسن معشوقهم عن عشقه فيصفو موردُ العشق من كَدَرِ الغَيْرَةِ ويخلو العاشقُ بما يجلو بَصَرَهُ من المشاهدةِ، وقد عَرَّض بهذا الغرض ابنُ سناءِ الملك في قوله [من الكامل]:

أَشْـكُـو إِلَـيْـهَـا رِقَّـتِـي لِـتَـرِقَّ لِـي فَـتَـقُـولُ تَـطْـمَـعُ بِي وأَنْتَ كَـمَـا تَـرَى
وإِذَا بَـكَـيْـتُ دَماً تَـقُـولُ شَـمِـتُّ بِي يَـومَ النَّوَى فَصَبَغْتَ دَمْعَكَ أَحْمَرَا
مَـن شَـاءَ يَـمْـنَـحُـهَـا الـغَـرَامَ فَـدُونَـهُ هَـذِي خَـلاَئِـقُـهَـا بِـتَـخْـيِـيـرِ الـشَّـرَا

وقد صرّح به ابنُ أبي الحديد في قوله [من الطويل]:

فَـيَـا رُبَّ بَـغْـضَـهَـا إِلَـى كُـلِّ عَـاشِـقٍ سِـوَايَ وَقَـبِّـحْـهَـا إِلَـى كُـلِّ نَـاظِـرِ

وقد بالغ ابنُ الخياط الدمشقي في تصريحه [من الطويل]:

أَغَـارُ إِذَا آنَـسْـتُ فِـي الـحَـيِّ أُنْـسَـةً جِـذَاراً وَخَـوْفـاً أَن تَـكُـونَ لِـحُـبِّـهِ

وربما عيب على كعبٍ هذا الكلام؛ لأنه يُشعِرُ بأن معشوقته تَعِدُ وتخلف وتبدّل، وأين هو من قول كُثير في وصف معشوقته عَزّة [من الطويل]:

كَـأَنِّـي أُنَـادِي صَـخْـرَةً حِـيـنَ أَعْـرَضَـت مِـنَ الصُّمِّ لَو تَمشِي بِهَا العُصُمُ زَلَّتِ
جَـمُـوحٌ فَـمَـا تَـلْـقَـاكَ إِلاَّ بَـخِـيـلَـةً فَـمِـن مَـلٍّ مِـنْـهَـا ذَلِـكَ الـوَصْـلَ مَـلَّـتِ

ويمكن أن يُعْتَذَرَ لكعب رضي الله عنه بأن مراده المبالغةُ في فرط دلالها وبخلها بوصالها بحيث لو صاحبت صاحباً لاستبدلت به وفجعته، ولو وعدتْ بالوصل لكذبت في وعدها ومَطَلَتْ، على أنها لا تصاحبُ مصادقاً ولا تعدُ بوصالها عاشقاً، وهو قريبٌ من قول الآخر: =

فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا ... كَمَا تَلَوَّنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ[1]
وَمَا تُمَسِّكُ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمَتْ ... إِلاَّ كَمَا يُمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ[2]
فَلاَ يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ ... إِنَّ الأَمَانِيَّ وَالأَحْلاَمَ تَضْلِيلُ
كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ[3] لَهَا مَثَلاً ... وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلاَّ الأَبَاطِيلُ
أَرْجُو وَآمُلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتُهَا ... وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكِ تَنْوِيلُ[4]

= ولا تَرَى الضَّبَّ بِها ينجحر

أي لا ضبّ بها فينجحر، فيكون كلامه من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم، قاله الشارح البغدادي. ينظر حاشية بانت سعاد (١/ ٧٠١ ـ ٧٠٢).

(١) الغُوْلُ: ساحِرَةُ الجِنِّ، ونقل الإمام النّووي في شرح مسلم وابن الأثير في النهاية، أنه ليس المراد نفي وجود الغُول وإنما معناه إبطالُ ما تزعمه العرب من تَلَوُّن الغُوْل بالصور المختلفة واغتيالِها. قالوا: ومعنى «لا غُوْل» أي لا تستطيع أن تُضِلَّ أحداً، ويشهد له حديث آخر: «لا غُوْل ولكن السِّعالي...» وفي الحديث الآخر: «إذا تَغَوَّلت الغِيْلانُ فَبادِروا بالأذان»، أي ادفعوا شرَّها بذكر الله. وهذا دليل على أنه ليس المراد نفي أصل وجودها. وفي حديث أبي أيوب: «كان لي تمرٌ في سَهْوَةٍ، وكانت الغُوْل تجيء فتأكل منه». ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٣٠).

(٢) وقد ضمَّن ابنُ نُباتة المصري المِصْراع الثاني فقال [من البسيط]:

لم تُمسِكِ الهُدْبُ دَمعي حينَ أذكركم ... إلاّ كما يُمْسِكُ الماءَ الغرابيلُ

(٣) عُرقُوبٌ: اسمُ رَجُلٍ أَخْلَفَ مَوْعِداً فِي حَدِيثٍ مشهور فَضَرَبَتِ العَرَبُ بِهِ المَثَل في خُلْفِ الوَعْدِ. وهذا البيت استئناف بياني وقع جَواباً للسؤال عن سبب النهي في البيت السابق، وجملة: «وما مواعيدها» معطوفة على جملة «كانت». وروى أبو العبّاس الأحول ونفطويه: «وما مواعيده» بضمير عرقوب، فتكون الجملة حالاً من عرقوب، و «مواعيد» جمع ميعاد بمعنى الموعد مصدر ميمي، وهو العامل في الحال وذيها.

وقال الخطيب التبريزي وتبعه البغداديان: إن قوله: كانت مواعيد عرقوب... البيت، تأكيد لما تقدمه من أن هذه المرأة لا تفي بوعدها إذا وعدت، فمواعيدها كمواعيد عرقوب الذي سار به المثل في الخُلْف، هذا كلامه. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ١٩٣ ـ ١٩٤).

(٤) إخالُ: بِكَسْرِ الهمزة: لُغَةٌ لِبَني تَميم.

وهذا البيت ساقط من رواية نفطويه ورواه أبو العباس الأحول كذا [من البسيط]:

أرجُو وآمُلُ أن يَعْجَلْنَ في أبَدٍ ... وما لهُنَّ طَوالَ الدهرِ تَعجيلُ

قال [الأحول]: في أبدٍ، في دهرٍ، ويروى:

.... ومَا لنا عندهُنَّ اليومَ تعجيل

أي، لا يُعَجِّلن وصْلَنا. وفي الرّواية الأولى يقول: آمل وأرجو، وما أظن ذلك يكون أبداً، انتهى. وطَوال ـ بفتح الطاء ـ بمعنى طول، وقال البغدادي في شرح هذه الرواية: الضمير في «يعجلن» و «الهن» لعواعيدها في البيت قبله، ويعجلن من العجلة، يقال: عاجله وأعجله، إذا سبقه، وعَجِل هو كفَرِح يقول: أرجو أن تسبق مواعيدها وتسرع إنجازها في دهرٍ ولا يحصل ذلك، انتهى. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥).

أَمْسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لاَ يُبَلِّغُهَا ... إِلاَّ الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْمَرَاسِيلُ (١)

وَلَنْ يُبَلِّغَهَا إِلاَّ عُذَافِرَةٌ ... لَهَا عَلَى الأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ (٢)

مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إِذَا عَرِقَتْ ... عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأَعْلاَمِ مَجْهُولُ (٣) (٢٥١/١)

تَرْمِي الْغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرَدٍ لَهِقٍ ... إِذَا تَوَقَّدَتِ الْحِزَّانُ وَالْمِيلُ (٤)

---

(١) المَراسِيلُ: السَّريعةُ، لهذا البيت ابتداء خلوصه من الغزل وتوطئة للمدح، وجملة أمست.. إلخ. استئنافية. والمراسيل جمع مرسال إلخ، هٰذه عبارة التبريزي، وقال أبو العبّاس الأحول: والمراسيل السِّراع، الواحدة رسلة، وهي التي تعطيك ما عندها عفواً لا تعنُّك. وقال ابن الأنباري في شرح المفضليات: المراسيل السِّراع السهلات في السير، يُقال: إن واحده مرسال، ويُقال: إنه جمع على غير قياس واحدها رسلة، انتهى. ورسلة ضُبطت بفتح الراء وكسرها وسكون السين فيهما، وقال نفطويه: المراسيل التي تسرع وتتقدم الإبل، انتهى. وقال الجوهري: وخاله صاحب ديوان الأدب، المرسال الناقة السهلة السير. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٣٣٢، ٣٤١).

(٢) عُذَافِرَةٌ: نَاقَةٌ ضَخْمَةٌ، والأَيْنُ: الفُتور والإعياءُ، والإرْقَال، والتَّبْغِيلُ: ضَرْبان منَ السَّيْر.
الصدر جاء في شعر الشمّاخ من قصيدة [من البسيط]:

وحال دونك قوم في صدورهمُ ... من الضغينةِ والغِشِّ البلابيلُ

ولن يبلِّغها إلاَّ عُذَافِرَةٌ ... نَضْحُ الكُحَيْلِ بِذِفْرَيْها عَشاكِيلُ

(٣) قال الشيخ أبو ذر: نَضَّاخَةٌ بالحاءِ والخاءِ: هي التي يَرْشَحُ عَرَقُها. وقال اللُّغَويُّون: النَّضْخُ بالخاء المعجمة أكثرُ من النَّضْح. والذِّفْرَى: عَظْم في أصْلِ الأُذُن، وَعُرْضَتُهَا: الشَّيءُ الذي تَقْوَى عليه. ومَن روَاه: وَلاَحَهَا فمعناه: أضْعَفَهَا، وطامِسُ: مُتَغَيِّرٌ، والأعْلامُ: العَلاماتُ التي تكون في الطُّرُق يُهْتَدَى بها، وأراد: أنَّه ليس بها عَلَمٌ، «مِنْ» تبعيضية أو مبيّنة، قال الرضي: وتعرف «من» البيانية بأن يكون قبل «مِن» أو بعدها مبهَم يصلح أن يكون المجرور بمن تفسيراً له ويقع ذلك المجرور على ذلك المبهم، كما يُقال مثلاً للرجس: إنه الأوثان، وللعشرين: إنها الدراهم وللضمير في قولك: عزّ مِن قائل أنه القائل بخلاف التبغيضية، فإن المجرور بها لا يطلق على ما هو مذكور بعدها أو قبلها؛ لأن ذلك المذكور بعض المجرور، واسم الكل لا يقع على البعض، فإذا قلت: عشرون من الدراهم، فإن أشرت بالدراهم إلى دراهم معيّنة أكثر من عشرين من تبعيضيّة لأن العشرين بعضها، وإن قصدت بالدراهم جنس الدراهم فهي مبيّنة لصحة إطلاق اسم المجرور على العشرين، انتهى كلام الرضي، فعلى هٰذا إن عنى بكلّ نضاخةٍ ما يشمل الناقة العُذافرة وغيرها فمن تبعيضيّة، وإن عنى بها العذافرة فقط مبالغة في أنها هٰذا الجنس فهي بيانية. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٣٦٥).

(٤) الغيوب: جمع غائب، ويروى في مكانه النجاد، قال الخشني: والنَّجَادُ هنا: جمعُ نَجْدٍ وهو ما ارْتَفَع منَ الأرْض، والمُفْرَدُ هنا: الثَّوْرُ الوَحْشِيُّ الذي انفرد في الصَّحْراء، واللَّهَقُ: الأبْيَضُ بفتح الهاء وكسرها، والحِزَّانُ بالحاء المهملة: المَوَاضِع المُرْتَفِعَةُ واحِدُها حَزِينٌ. والمِيلُ هنا: العَلَمُ الذي يُبْنَى على الطَّريق.
عجز البيت وقع في شعر عبدة بن الطبيب، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهليّة والإسلام، وكان في جيش النعمان بن مُقَرِّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن، وقد ذكر ذلك في قصيدته التي أوّلها [من البسيط]:

هَلْ حَبْلُ خَولَةَ بَعْدَ اليومِ مَوصولُ ... أم أنت عنها بَعِيدُ الدارِ مشغولُ؟ =

ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا فَعْمٌ مُقَيَّدُهَا ... فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ[1]
غَلْبَاءُ وَجْنَاءُ عُلْكُومٌ مُذَكَّرَةٌ ... فِي دَفِّهَا سَعَةٌ قُدَّامَهَا مِيلُ[2]
وَجِلْدُهَا مِن أُطُومٍ مَا يُؤَيِّسُهُ ... طِلْحٌ بِضَاحِيَةِ الْمَتْنَيْنِ مَهْزُولُ[3]
حَرْفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مُهَجَّنَةٍ ... وَعَمُّهَا خَالُهَا قَوْدَاءُ شِمْلِيلُ[4]
يَمْشِي الْقُرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهُ ... مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلُ[5]

= حلّت خُوَيلةُ في دارٍ مُجاوِرةً ... أهل المدينةِ فيها الديكُ والفيلُ
يُقارعون رءوسَ العُجْمِ ضاحيةً ... منهم فوارسُ لا عُزْلٌ ولا مِيلُ

وقد أوردها المفضل في المفضليات، ومنها في وصف ناقته [من البسيط]:

تَهدي الركابَ سَلُوفٌ غيرُ غافلةٍ ... إذا تَوقَّدتِ الجِرّانُ والمِيلُ.

ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٤٠٠ ـ ٤٠١).

(١) مُقَلَّدُها: عُنُقُها. وفَعْمٌ: مُمتلئة، ومُقيَّدُها: موضعُ القَيْد مِنْهَا.

المِصراع الثاني جاء في شعر الشمّاخ الصحابي، قال في وصف ناقة من قصيدة [من البسيط]:

وقَد تُلاقي بِيَ الحَاجاتِ ناجيةٌ ... في خَلْقِها عن بَناتِ الفَحْل تفضيل

قال شارحه: تلاقى تدارك، ناجيةٌ ناقة تنجو في سيرها أي تسرع. وقوله: في خلقها عن بنات الفحل تفضيل، ويروى: عن تمام الفحل، أي هي أفضل خلقاً من الفحل. انتهى كلامه. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٤٢١).

(٢) هذا البيت ساقط من رواية أبي العباس الأحول ومن رواية نفطويه ووقع في قصيدة الشماخ كذا [من البسيط]:

غَلْبَاءُ رقباء عُلْكُومٌ مُذَكَّرةٌ ... لِدَفِّها صَفْصَفٌ قُدَّامَه مِيلُ

ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٤٣٨).

(٣) وقع في شعر الشمّاخ هذا البيت كذا [من البسيط]:

وجِلدُها من أطومٍ ما يؤيِّسُهُ ... طِلْح كضاحيةِ الصَّيداءِ مَهْزُولُ

ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٤٥٠).

(٤) حَرْفٌ: شَدِيدةٌ. أخوها أبوها وعَمُّها خالُها: يريد أنها مُداخَلَةُ النَّسب في الكرَم لم يَدْخُل في نَسَبِها، مَهجِينٌ وَالمُهَجَّنَةُ هنا: الكَرِيمَة وهي من الهِجَانِ، وهي البِيضُ من الإبِل وهي كِرَامُها. وقَوْدَاءُ: طَويلةٌ. وشِمْلِيلٌ: سَريعةٌ.

وهٰذا البيت ساقط من رواية نفطويه، وقد أخذ هذا البيت من أوس بن حجر الجاهِلي، وكان والدُ الناظم زُهَير روايته، قال في قصيدة من أوّل ديوانه وصف فيها ناقته [من البسيط]:

حَرْفٌ أخُوهَا أبُوهَا مِن مُهَجَّنَةٍ ... وعَمُّها خالُها وَجْنَاءُ مِئْشِيرُ

ومئشير ذات أشَرٍ ونَشاط، وقال أبو العَبّاس الأحوَل: هذا البيت يوضع في شعر النابغة الذبياني وفي شعر أوس بن حَجَر، إلاّ أن القافية على الراء، وموضع شِمْلِيل مِئشير مفعِيل في هٰذا الموضع. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٤٦٥).

(٥) لَبَان: صَدْر. وأقْرَاب: جَمْعُ قُرْبٍ؛ وهي الخاصِرَةُ وما يَليها، وزَهالِيلُ: مُلْس.

وقع المصراع الأوّل في شعر الشمّاخ كذا [من البسيط]:

تَذُبُّ ضَيفاً من الشَّعراء منزِلُهُ ... منها لَبَانٌ وأقرابٌ زَهَالِيلُ

ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٤٨٠).

عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ[1]
كَأَنَّمَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحَهَا مِنْ خَطْمِهَا وَمِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ[2]
تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ فِي غَارِزٍ لَمْ تُخَوِّنْهُ الأَحَالِيلُ[3]

---

(١) عَيرانَة: تُشبهُ العَيْرَ في شِدّته ونشاطِهِ. والعَيْرُ هنا: حِمارُ الوَحْشِ، والنَّحْضُ: اللَّحمُ، والزَّوْرُ: أسْفَلُ الصَّدر.
أخذ المصراع الثاني الأخطل النصراني وقال [من البسيط]:
قَنْواءُ نَضّاخَةُ الذِّفْرَى مُفَرْجِيَةٍ مِرْفَقُها عن ضُلُوعِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ
قال البغدادي: عَيْرانة خبر مبتدأ محذوف، أي: هي عَيْرانة أو صفة أُخرى لحرفٍ وموضع «قذفت» رفع صفة أُخرى لحرف أو صفَة، عيرانة إن كانت خبراً والباء للتعدية وفيها مَعْنى الاستعَانة والبَيَان، وعن عُرُضٍ متعلّق بقذفت، وعن بمعنى من لابتداء الغاية، ويجوز أن تكون على بابها للمجاوزة والانتقال، كأنّ اللحم انتقل إليها عن مرعاها، ويجوز أن يكون عن عُرُض في مَوْضِع نصب على الحال، إمّا من النّحض أي كائناً عن عرض، أو منتقلاً عن عرض، أو من التّاء من قذفت، أي آخذه عن عُرُضٍ أو ناقلة عنه، وعَامِل الحال على كلا التقديرين «قُذفت»، وموضع مرفقها مفتول رفع صفة حرفٍ أو عَيْرانة إذا جعلت خبراً، وعن متعلّقة بمفتول، انتهى. وقوله: أو من التاء من قذفت سهو، وصوابه: أو من الضمير المستتر في «قذفت»، فإن تاء التأنيث حرف.
وقال البغدادي: مفتول مُتَباعِد. قال صاحبا «المُجْمَل» و«الصحاح»: الفَتْل ـ بالتحريك ـ تباعُد ما بين المِرْفَقَين عن جنبَي البَعير، وقال التبريزي وابن الأنباري: المفتول المُدْمَج المحكم، وهٰذا ليس بمعروف مع عدم تناسب الكلام، انتهى. ويؤيّده قول الأخوَل: يريد بانت قوائِمُها عن جُنوبها وخواصِرها، فهي لا يصيبها ضاغط ولا حاز ولا ناكِت، وإذا كانت كذلك كان أحمَد لها، انتهى. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٤٩٩ ـ ٥٠١).

(٢) لَحْيَيْها: هو تَثْنِيَةُ لَحْي، وهو العَظْمُ الذي عليه الخدُّ واللِّحْية لذي اللِّحْيَةِ. والخَطْمُ: الأنفُ، وَبِرْطِيلُ. حَجرٌ طويلٌ، ويُقال: هي فاسٌ طويلةٌ.
أخذَ المصراعَ الأوّل الشماخ فقال [من البسيط]:
كأنّما فات عَيْنَيها ومَذْبَحَها مُشَرْجَعٌ مِن عَلاةِ القَيْنِ مَمْطُولُ
قال شارحُه: أي كأنّما تقدّم عَيْنيها ومذبحها مُشَرْجَعٌ، قالوا: أي حديد ضَرِب وطُوِّل على سندَان الحدّاد، ويقال: أرَادَ بالمشرجع هنا المِعْوَل، وإنما شبّه طُول لِحيَيْها وصلابتها بعلاة القين، وممطول: مُطِل وطُوِّل، انتهى. قال البغدادي: جملة كأنّما فات إلخ في موضع رفع صفة حَزْف أو عَيْرانة، ومن خطمها متعلّق بفات، ومن لابتدَاء الغاية، وصفة بَرطيل تقدّمت عليه فصارت حالاً، ومن على هٰذا للتبيين، انتهى. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٥٠٢).

(٣) العسيب عظم الذنب كالعَسِيبَة أو منبت الشعر منه، وجريدة من النخل مستقيمة دقيقة يُكشَطُ خُوصُها، والذي لَمْ يَنبُت عليه الخُوص من السَّعَفِ، والسَّعَفُ جريد النخل أو ورقة، وأكثر ما يُقال إذا يبِسَت، وإذا كانت رطبَة فشطبه، انتهى. وفي المصبَاح: السعف أغصان النخل ما دامت بالخُوص، فإن زال الخُوصُ عنها قيل: جَريد. وقال البغدادي: العسيب جريد النخل، قاله العسكري والفارابي، وقال الجوهري: العَسِيب من السعف قُوَيق الكَرَب لم ينبت عليه الخُوص، وعَسِيبُ الذنب مَنبته من الجلد والعظم، شبّه ذنب الناقة ومَا عَليه من الشعر بالسَّعَفَة، وما عليها من الخُوص، وهو تشبيه حسن من باب تشبيه المحسوس بالمحسوس، وقيل: العَسِيب العِذْق، شبّه =

قَنْوَاءُ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا ... عِتْقٌ مُبِينٌ وَفِي الْخَدَّيْنِ تَسْهِيلُ[1]

تَخْدِي عَلَى يَسَرَاتٍ وَهْيَ لاَحِقَةٌ ... ذَوَابِلٍ مَسُّهُنَّ الأَرْضَ تَحْلِيلُ[2]

سُمْرِ الْعُجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الْحَصَا زِيَماً ... لَمْ يَقِهِنَّ رُءُوسَ الأُكْمِ تَنْعِيلُ[3]

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إِذَا عَرِقَتْ ... وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ[4]

يَوْماً يَظَلُّ بِهِ الْحَرْبَاءُ مُصْطَخِداً ... كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُولُ[5]

وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ ... وُرْقُ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَا قِيلُوا[6]

شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعَا عَيْطَلٍ نَصَفٍ ... قَامَتْ فَجَاوَبَهَا نُكْدٌ مَثَاكِيلُ[7]

نَوَّاحَةٌ رِخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا ... لَمَّا نَعَى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ[8]

تَفْرِي اللَّبَانَ بِكَفَّيْهَا وَمِدْرَعُهَا ... مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهَا رَعَابِيلُ[9]

تَسْعَى الْغُوَاةُ جَنَابَيْهَا وَقَوْلُهُمُ: ... إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ

وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ آمُلُهُ: ... لاَ أُلْهِيَنَّكَ؛ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ

فَقُلْتُ: خَلُّوا سَبِيلِي لاَ أَبَا لَكُمُ، ... فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ

= ذنبَها به لانحنائه، وتفرّق ما يتفرّع منه، انتهى. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٥٠٩ ـ ٥١٠).

تَمُرُّ: تَمُدُّ وتُحرِّكُ، والعَسِيبُ: جَرِيدُ النَّخْل. والخُصَلُ: جمع خُصْلَةٍ وهي اللِّفَافَةُ من الشَّعَرِ. وَغارز: قليلُ اللَّبَنِ. لم تَخَوَّنْهُ، أي: لم تَنْقُصْهُ وَلَم تُضْعِفْهُ. والأحاليلُ: جمعُ إحْلِيلٍ؛ وهو الثُّقْبُ الذي يخرج منه اللَّبَنُ، وهو من الذَّكَر الذي يخرج منه البَوْلُ.

(١) قَنْواء: في أنْفِهَا ارْتِفَاعٌ. وحُرَّتَاها: أُذُنَاهَا.

(٢) تَخْدِي: تُسْرِعُ. على يَسَراتٍ، يعني: قَوائِمَها؛ لأنها تُحسِنُ السَّيْرَ بها كُلِّها. وَذَوَابِلُ: شدادٌ.

(٣) العُجَايات: جمعُ عَجَايَةٍ؛ وهي عَصَبٌ تكون فوق مِرْبَطِ القَيْدِ من ذي الخُفِّ ومِن ذي الحافر وَزِيَمٌ: متكَسِّرٌ مُتَفَرِّقٌ، والأُكُمُ: الكُدَى واحِدَتُها: أكَمَةٌ.

(٤) الأَوْبُ: الرُّجُوعُ، يقال: آب إلى كذا إذا رَجَعَ إليه. وتَلَفَّع: اشْتَمَلَ. والقُورُ جمعُ قارَةٍ وهي الجُبَيْلُ الصغيرُ. والعَساقِيلُ: لَمْعُ السَّراب.

(٥) الحِرْباءُ: ضَرْبٌ من العِظَاء ويُقالُ: هي أُمُّ حُبَيْن. ومُصْطَخِداً: مصطلياً بحر الشمس، ويروى: مرتبئاً: مرتفعاً. وَضَاحِيهِ: مَا بَرَزَ مِنه للشَّمْس. وَمَمْلُولٌ: مُحْرَقٌ في المَلَّةِ، والمَلَّةُ: الحِجَارةُ، والجَمْرُ، والرَّمَادُ.

(٦) الْحَادِي: الَّذي يَسوق الإبل، والورق: جمع أورق، وهو الأخضر إلى سواد، ويروى «يُقْع»، والبُقْعُ: التي فيها ألْوانٌ، وكذلك الرُّقْطُ. والجَنادِبُ: جمعُ جُنْدُبٍ وهو ذَكَرُ الجَرَادِ. وقِيلوا: هو أمْرٌ من القَيْلِ القائلةِ أي: انْزِلُوا واسْتَرِيحوا.

(٧) فَالعَيْطَلُ: الطَّويلةُ. والنَّصَفُ: المتوسِّطَةُ السِّنِّ، وَالْمَثَاكِيلُ جَمْعُ مِثْكال وهي الفاقِدُ أيضاً.

(٨) الضَّبْعَان: لَحْمَتَا العَضُدَيْن.

(٩) تَفْرِي: تَقْطَعُ، واللَّبَانُ: الصَّدرُ، وَرَعابيلُ: قِطَعٌ مُتَفَرِّقَةٌ.

كُلُّ[1] ابْنِ أُنْثَى، وَإِنْ طَالَتْ سَلاَمَتُهُ، يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ[2]
نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي، وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
مَهْلاً هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ ـقُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ[3]
لاَ تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أُذْنِبْ، وَلَوْ كَثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيلُ[4]

---

(١) وكلمة «كلّ» هنا للمبالغة، أراد أن «كلاً» اسم موضع لاستغراق أفراد المنكَر، نحو: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وهي في البيت ليست كذلك، فأجاب بأنها فيه للمبالغة لا للتعميم كما في الآية: قال البيضاوي: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ [طه: ٥٦] بصّرناهُ إيّاها أو عَرّفناه صِحّتَها كلّها تأكيد لشمول الأنواع أو لشمول الأفراد، على أنّ المُراد بآياتِنا آيات معهودة هي الآيات التسع المختصّة بموسَى، أو أنّه أراه آياته وعدّ عليه ما أُوتيَ غيره من المعجزات، انتهى. وصَرّح الفاضل البهْلوان في شرح الكشّاف بأنّ «كُلاً» تستعمل للتكثير دون الإحاطة والتعميم، وكذا السّيد عند قول السكاكي، والتغليب يجري في كلّ فنّ، وكذا ابن الكمال الوزير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [يونس: ٢٢] قال: إنّ لفظَ «كُلّ» قد يكون للتكثير والمبالغة لا للاستغراق كما في هٰذه الآية، وقال أيضاً في حاشية شرح المفتاح في أوّل الفن الثاني: إنّ لفظة «كُلّ» في قوله: في كلّ شجر نار «للتكثير» إذ لا نار في شجر العُنّاب. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٦٦٥).

(٢) على آلةٍ حَدْباءَ مَحْمُولُ، قيل: هي النَّعْشُ، وقيل: هي الذّاهِيَةُ أي لا يُسْتَقَرُّ عليها.

(٣) هٰذا التفات عن الغَيْبَة إلى الخِطَاب؛ لأنّ الاسم الظاهر في حكم الغائب، وقول البغدادي: هو نوع من الالتفات، رَجْع من خطاب الوشاة والأخلاء إلى خطاب الرسول عليه السّلام، غفلة عن البيت قبله. وجملة «فيها مَواعيظ» حال من نافلة، ورُوي: فيه مواعيظ، فتكون الجملة حالاً من القرآن، كقوله تعالى: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦] فمصبحين حال من هؤلاء، والوعظ النُّصح والتذكير بالعواقب، ومواعيظ جمع مَوعِظَة، ففيه ضرورتان: زيادة الياء من الكسرة المشبعَة، وصرف ما لا ينصرف بالتنوين، ولولاهما لزم أحد أُمورٍ ثلاثة: إمّا سقوطهما معاً فيصير الجزء مخبولاً هكذا: عِظُ وتَنْ فَعَلَتُن والخَبَلُ في هٰذا البحر، وإن كان سائغاً، إلاّ أنّه ليس بمستحسَن، لحصول الثِّقَل بتوالي أربع متحرّكات بعدها ساكن، وإمّا ثبوت الياء وسقوط التنوين فيصير الجزء مطويًّا، هكذا عِيظُ وتَفْ مُفْتَعِلُن، والطّيُّ في هٰذا البحر مع جوازه مستكرَه؛ لأنّه يتلو الخَبَل في الثِّقَل لتوالي ثلاث متحرّكات بعدها ساكِن، وإمّا سقوط الياء وثبوت التنوين فيصير الجزء مخبوناً هكذا: عِظُن وتِفْ مَفاعِلُن، والخَبْن في سِباعي هٰذا البحر وإن كان جائزاً لكنّه لا يُستحسَن كاستحسانه في خُماسِيّه، فجعلت المحافظة على المستحسَن ضرورة كالمحافظة على الواجب. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٧١٩ ـ ٧٢٠).

(٤) جملة «لا تأخذَنّي» لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها مفسرة جملة قوله: «مهلاً»، وهو من أخذه الله إذا أهلكه، أو من أخذه بذنبه إذا عاقبه عليه. ويُقال أيضاً: آخذه ـ بالمدّ ـ مؤاخذةً وتُبدَل الهمزة واواً في لغة اليمن فيقال: وآخذه، والباء للسببيّة، أو بمعنى اللام متعلّقة بتأخذ. وأذنَب يذنب أي فعل الذنب وهو الجُرم، وفي متعلق بكثرت، ويجوز أن يكون موضع نصب على الحال من الأقاويل، و «في» هنا بمعنى «عن» وبه رُوي أيضاً، ويجوز أن يكون جعل نفسه ظرفاً للأقاويل مجازاً. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٧٣٢).

لَـقَـدْ أَقُـومُ مَـقَـامًـا لَـوْ يَـقُـومُ بِـهِ ... يَـرَىٰ وَيَـسْـمَـعُ مَـا قَـدْ أَسْـمَعُ الْـفِـيـلُ[1]

لَـظَـلَّ يُـزْعَـدُ إِلاَّ أَنْ يَـكُـونَ لَـهُ ... مِـنَ الـرَّسُـولِ بِـإِذْنِ الـلَّـهِ تَـنْـوِيـلُ[2]

---

(١) قال البغدادي: أقوم في موضع الماضي، والتقدير: لقد قُمتُ مقاماً صفته كذا، حتّى وضعت يميني لا أُنازِعه ليتناسب الكلام، فيكون الفعل وغايته من نوع واحد، وخصّ القتل تهويلاً وتعظيماً لقوّته، وضخم جسمه وعظم اسمه، والمَقام ـ بالفتح ـ موضع الإقامة، وبالضم الإقامة نفسها. هٰذا هو الغالب، وقد يستعمل كلّ منهما في مكان الآخر، انتهى. وهٰذا هو كلام الكشاف في تفسير آية: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ [الدخان: ٥١] قال: قرىء في مَقام ـ بالفتح ـ وهو موضع القيام، والمراد المكان، وهو من الخاص الذي وقع مستعملاً في معنى العُموم. وبالضم: مَوضع الإقامة، انتهى. فالمَقام في الأصل محل القيام خاصةً، ثم تجوّز به في جميع الأمكنة، حتى قيل لموضع القُعود: مقام وإن لم يقم فيه أصلاً، وسُئِلَ أبو السعود المفتي عن الفَرْق بينهما فأجاب بما نصّه: إذا قيل: أقيم فلان مقام فلان، نظر إلى فلان الثاني إن كان المقام له، يُقال: مَقام ـ بفتح الميم ـ سواء كان الفعل أُقيم أو قام، وإن كان لغير الثاني في نفس الأمر يُقال: مُقام ـ بضمّ الميم ـ سَواء كان الفعل: أُقيم أو قام كالباء في حروف القسَم؛ لأنّها الأصل فيه، والواو بدل عنها، والتاء بدل من الواو، فإذا قيل: التاء أُقيم مقام الواو، يُقال: مُقام ـ بضم الميم ـ لأنّ المقام ليس للواو بل للباء في نفس الأمر؛ لأنّها أصل في القَسم. وعلى هٰذا يظهر فساد ما قيل من أنّ الفعل إذا كان من الثلاثي يكون مَقام ـ بفتح الميم ـ وإذا كان من المزيد يكون بضمّ الميم، انتهى. وهٰذا فرق يحتاج ثبوته إلى نقل من العربيّة. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٧٣٨ ـ ٧٣٩).

(٢) لَظَلَّ يُزْعَدُ إلاَّ أنْ يَكُونَ لَهُ: . . . . . البيت. .

الاستثناء من مقدّر عامّ، والتقدير: لظلّ يُرعَد في جميع الحالات إلاّ أن يكون له إلخ، وقال البغدادي: أن يكون في موضع نصب على الاستثناء وهو استثناء منقطع من غير الجنس، وهٰذا كلامه. وقال أيضاً: اللام في «الرسول» للعهد، وفي قوله: «بإذن الله» تلويحٌ لمعنى أُصولي، وهو أنّ النبي ﷺ غير متعبّد باجتهاده، ولا يفعل شيئاً إلاّ بالوحي من الله تعالى، والإذن منه كما هو رأي المحقّقين من علماء أُصول الفقه بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [النجم: ٣]، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٤]، انتهى. وكتب أحد مشايخنا على هامش نسخته قوله: بإذن الله، قال ابن الكمال: أي بتسهيله وتيسيره بطرق المجاز المرسل، ونكتة المجاز الإشعار بصعوبة الأمر. قال صاحب الكشّاف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤٦] لم يُرد به حقيقة الإذن، وإنّما جعل الإذْن مُستعاراً للتسهيل؛ لأنّ الدخول في حق المالك متعذّر، فإذا صودف الإذن تسهّل وتيسّر، فلمّا كان الإذْن تسهيلاً لِما تعذّر من ذلك، وضع موضعه، وذلك أن دعاء أهل الشرك والجاهليّة إلى التوحيد والشرائع أمر في غاية الصعوبة والتعذُّر، فقيل: بإذنه للإيذان بأنّ الأمر صعب لا يتأتّى ولا يُستَطاع إلاّ إذا سهّله الله ويسّره، ومنه قولهم في الشحيح: إنّه غير مأذونٍ له في الإنفاق، أي غير مُسَهَّلٍ عليه؛ لكونه شاقًّا عليه داخلاً في حَدّ التعذُّر، انتهى. وأراد بالمستعار معناه اللغوي، فلا يُنافي ما قلنا على وفق مصطلَح أهل البيان أنّه مَجاز مُرسل، انتهى كلام ابن الكمال، وذكر صاحب الكشّاف عند قوله تعالى: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ١] أي بتسهيله وتيسيره، مستعار من الإذن الذي هو تسهيل الحِجاب، وذلك بما يمنحهم من اللطف والتوفيق، انتهى. قلت: ظاهر هٰذا أنّ معنى الإذن وحقيقته هو تسهيل الحجاب، وهٰذا في الظاهر غير ما نقله ابن الكمال عن الزمخشري، فإنّه يناسب ما ذكر في =

مَا زِلْتُ أَقْتَطِعُ الْبَيْدَاءَ مُدَّرِعًا ... جُنْحَ الظَّلاَمِ وَثَوْبُ اللَّيْلِ مَسْدُولُ
حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أُنَازِعُهَا ... فِي كَفِّ ذِي نَقَمَاتٍ قِيلُهُ الْقِيلُ
فَلَهْوَ أَخْوَفُ عِنْدِي إِذْ أُكَلِّمُهُ ... وَقِيلَ: إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولُ
مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَاءِ الأَرْضِ مَخْدَرُهُ ... فِي بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دُونَهُ غِيلُ[1]
يَغْدُو فَيُلْحِمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا ... لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلُ[2]
إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لاَ يَحِلُّ لَهُ ... أَنْ يَتْرُكَ الْقِرْنَ إِلاَّ وَهْوَ مَغْلُولُ[3]
مِنْهُ تَظَلُّ سِبَاعُ الْجَوِّ نَافِرَةً ... وَلاَ تَمَشَّى بِوَادِيهِ الأَرَاجِيلُ[4]
وَلاَ يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ ... مُضَرَّجُ الْبَزِّ وَالدِّرْسَانِ مَأْكُولُ[5]
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ
فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا: زُولُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلاَ كُشُفٌ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ مِيلٌ مَعَازِيلُ[6]

= المصباح: أذنت له في كذا: أطلقت له فِعلَه إلى أن قال: وكذا الإرادة نحو بإذن الله، انتهى. وحينئذ فالآية يمكن تفسير الإذن فيها بهذا، ومع هذا فكيف منع الزمخشري في ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ حمل الإذن على ذلك. وصرّح الزمخشري في «بإذن ربّهم» بأنه مستعار، وحمله الكازروني على أنه مجاز مرسل من إطلاق المقيّد على المطلق؛ لأنّ المُراد به مطلق التسهيل، وحمله سنان أفندي على الاستعارة المصطلحة، وردّ كلام الكازروني حيث قال: قوله من الإذن الذي هو تسهيل الحجاب، أي الذي هو يوجب التسهيل؛ لأنّ مفهومه ذلك. وعن جار الله أنه قال: استعار الإذن للتسهيل والتيسير؛ لأنّ الدخول في حقّ المالك متعذّر، فإذا صُودِفَ الإذن يسهّل ويتيسّر. فلمّا كان الإذن تسهيلاً لِما تعذّر من ذلك وضع موضعه، انتهى. يعني بطريق الاستعارة المصطلحة دون المجاز المرسل إطلاقاً للملزوم على اللازم، انتهى كلام سنان. وفيه ردّ على ابن الكمال أيضاً، وذكر ابن عرفة ما حاصله أنّ تفسير الإذن بالتسهيل إنّما هو على طريقة المعتزلة القائلين بأنّ أفعال العِباد ليست مقدورة لله، وإنّما الله ييسّرها ويسهّلها. ينظر حاشية بانت سعاد (٣/ ٥ ـ ٧).

(١) وَضَيْغَمٌ: أَسَدٌ، وَضَرَّاءُ الأرض: مَا وَارَى مِن شَجَرٍ، وَمَخْدَرُ الأسد: غَابَتُهُ وأَجَمَتُهُ، وَعَثَّرُ: اسْمُ مَوْضِعٍ تُنْسَبُ إليه الأُسودُ، وَغِيلٌ: أَجَمَةٌ أيضاً.

(٢) يُلْحِمُ: يُطْعِمُهم اللَّحْمَ. ضِرْغَامَيْن؛ يعني: أَسَدَيْن وَأراد بهما شِبْلَيْه. مَعْفُورٌ أي: مُمَرَّغٌ بالْعَفَرِ، وهو التُّراب، وَخَرادِيلُ: مُتَقَطِّعَةٌ.

(٣) وَيُسَاوِرُ: يُوَاثِبُ، يُقال: سَاوَرَهُ: إِذَا وَاثَبَهُ، وَمَغْلُولُ: أي قد أُثِّرَ فيه.

(٤) الجَو ـ هنا ـ: موضعٌ، والأراجِيلُ: الجَماعاتُ من الرِّجال.

(٥) مُضَرَّجٌ، أي: مُخَضَّبٌ بالدِّماء، والبَزُّ: الثِّيابُ، والدِّرْسانُ: ثَوْبَانِ خَلَقان.

(٦) أَنْكاسٌ: جمعُ نِكْس وهو الدَّنِيءُ من الرِّجال، وَكُشُفٌ: لا تِراسَ لهم، ويُقَال: شُجْعَانٌ لا يَنْكَشِفُون، أي: لا يَنْهزِمون وهو جَمْعٌ، وَوَاحِدُهُ: أَكْشَفُ، وَمِيلٌ: جمعُ أَمْيَلَ، وهو الَّذِي لا سَيْفَ له، وقيل: هو الذي لا تُرْسَ له، وقيل: هو الذي لا يُحْسِنُ الرُّكوبَ فَيَميلُ عن السَّرْج، والمَعازِيلُ: الذين لا سِلاَح معهم.

شُمُّ الْعَرَانِينِ[1] أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمُ ... مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ

بِيضٌ سَوَابِغُ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ ... كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ[2]

لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمُ ... قَوْماً وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا (٢٥١/ ب)

يَمْشُونَ مَشْيَ الْجِمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ... ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ[3]

لاَ يَقَعُ الطَّعْنُ إِلاَّ فِي نُحُورِهِمِ ... وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ[4] [١٠٥٤]

قال ابن هشام: قال كعبُ هذه القصيدة بعد قُدُومِهِ على رسولِ الله ﷺ المدينة، وبيته: «حَرْفٌ أَخُوها أبوها» وبيته: «يَمْشِي الْقُرَادُ» وبيته: «عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ» وبيته: «تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ» وبيته: «تَفْرِي اللَّبَانَ» وبيته: «إِذَا يُسَاوِرُ قِرْناً» وبيته: «وَلاَ يَزَالُ بِوَادِيهِ» ـ عن غير ابن إسحاق [١٠٥٥].

قال ابن إسحاق: وقال عَاصِمُ بْنُ عَمْرِ بْنِ قَتَادَةَ: فَلَمَّا قَالَ كَعبٌ: «إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ» وإنما يريدنا مَعْشَرَ الأنصارِ؛ لما كان صاحبُنا صَنَعَ به ما صنع، وَخَصَّ المُهَاجِرِين

[١٠٥٤] إسناده ضعيف؛ لإرساله.

وأخرجه الحاكم (٣/ ٥٨٣ـ٥٨٤) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٧٧ـ١٧٨).

وقال الهيثمي: رجاله ثقات.

وذكره الحافظ ابن كثير بطوله في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٢٤ـ٤٢٧).

[١٠٥٥] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٢٨).

---

(١) العَرانِينُ: الأُنوفُ.

(٢) سَوابِغُ: كامِلَةٌ، شُكَّتْ: أي أُدْخِلَ بعضُها في بعض، والقَفْعَاءُ: ضَرْبٌ مِن الحَسَكِ وهو نَباتٌ له شَوْكٌ تُشَبَّهُ به حَلَقُ الدِّرعِ، وَمَجْدولٌ: مُحْكَمُ السَّرْدِ.

(٣) يجوز في جملة «يمشون» ما جاز في جملة «لا يفرحون» والواو ضمير فِئة أو عُصْبَة، المراد بهم المهاجرون الذين هاجروا مع النبي ﷺ من مكّة المكرمة إلى المدينة المنوّرة، والمُراد بالسُّود التنابيل الأنصَار رضي الله عنهم؛ لما قدّمه الشارح في مقدّمة شرحه من أنّ بعضَ الأنصار قال: دعني يا رسول الله أضربُ عُنُقَه، فغضب كَعْب فعَرّض بهم بالسّود التنابيل. ومثله لأبي العبّاس الأحوَل، قال في شرحه: يُقال: إنّما قال: السود التنابيل تعريضاً بالأنصار رضي الله عنهم، فأمره النبي ﷺ أن يمدحَهم، انتهى. قال السهيلي في «الرَّوض الأُنُف»: جعلهم سوداً لِما خالطَ أهل اليمن من السّودان عند غلبة الحبشة على بلادهم؛ ولذلك قال حسّان في آل جَفْنة [من الكامل]:

أولادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قبرِ أبيهِمُ ... بِيضُ الوجوهِ من الطِّرازِ الأوّلِ

يعني بقوله: «من الطِّراز الأوّل» أنّ آلَ جَفْنَةَ كانوا من اليمَن ثمّ استوطنوا الشامَ بعد سَيْل العَرِم، فلم تُخالِطهم السودان كما خالطوا من كان من اليمن، فهم من الطِّراز الأوّل الذي كانوا عليه في ألوانهم وأخلاقهم. ينظر حاشية بانت سعاد (٣/ ٩٥ ـ ٩٦).

(٤) وَتَهلِيل: فِرارٌ، يُقال: هَلَّلَ عن قِرْنِهِ: إذا فَرّ مِنْهُ. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٤٢٤ ـ ٤٢٧).

من قريش من أصحاب رسولِ اللَّهِ ﷺ بِمَدْحَتِهِ، غَضِبَتْ عليه الأنصارُ، فقال بعد أَنْ أسلم يَمْدَحُ الأنصار ويذكر بَلاءَهم مع رسولِ اللَّهِ ﷺ وموضعهم من اليمن [من الكامل]:

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلاَ يَزَلْ ... فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الأَنْصَارِ[1]

وَرِثُوا الْمَكَارِمَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ ... إِنَّ الْخِيَارَ هُمُ بَنُو الأَخْيَارِ

أَلْمُكْرِهِينَ السَّمْهَرِيَّ بِأَذْرُعٍ ... كَسَوَالِفِ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ[2]

وَالنَّاظِرِينَ بِأَعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ ... كَالْجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الإِبْصَارِ

وَالْبَائِعِينَ نُفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ ... لِلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَانُقٍ وَكِرَارِ

[وَالذَّائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ ... بِالْمَشْرَفِيِّ وَبِالْقَنَا الْخَطَّارِ][3]

يَتَطَهَّرُونَ يَرَوْنَهُ نُسُكًا لَهُمْ ... بِدِمَاءِ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الْكُفَّارِ

دَرِبُوا كَمَا دَرِبَتْ بِبَطْنِ خَفِيَّةٍ ... غُلْبُ الرِّقَابِ مِنَ الأُسُودِ ضَوَارِي[4]

وَإِذَا حَلَلْتَ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمُ ... أَضْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاقِلِ الأَغْفَارِ[5]

ضَرَبُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً ... دَانَتْ لِوَقْعَتِهَا جَمِيعُ نِزَارِ[6]

لَوْ يَعْلَمُ الأَقْوَامُ عِلْمِيَ كُلَّهُ ... فِيهِمْ لَصَدَّقَنِي الَّذِينَ أُمَارِي[7]

قَوْمٌ إِذَا خَوَتِ النُّجُومُ فَإِنَّهُمْ ... لِلطَّارِقِينَ النَّازِلِينَ مَقَارِي[8]

[فِي الْغُرِّ مِنْ غَسَّانَ مِنْ جُرْثُومَةٍ ... أَعْيَتْ مَحَافِرُهَا عَلَى المِنْقَارِ][9] [١٠٥٦]

[١٠٥٦] إسناده مرسل.

أخرجه الحاكم (٣/ ٥٨٤-٥٨٦) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ١٧٨-١٧٩) من طريق ابن إسحاق. =

---

(١) في مِقنَبٍ من صَالِحي الأنصَارِ، المِقْنَبُ: الجَمَاعَةُ مِن الخَيْل، وجَمْعُهُ: مَقَانِبُ.

(٢) السَّمْهَرِيُّ: الرِّماحُ. كَسَوالِفِ الهِنْدِيِّ، يُريد: حَوَاشِيَ السُّيوفِ، وقد يُريد بِهِ: الرِّماحَ أيضاً؛ لأنها قد تُنْسَبُ إلى الهِنْدِ.

(٣) الذَّائدين، يريدُ: المانِعين. والدَّافِعين، والمشْرَفِيُّ: السَّيْفُ، وأراد به ههنا الجنسَ. والخَطَّارُ: المُهْتَزُّ.

(٤) دربوا: تَعَوَّدُوا، وخَفِيَّةُ: موضعٌ تُنْسَبُ إليه الأُسودُ، وغُلْبٌ: غِلاظٌ، وضَوَارٍ: مُتَعَوِّدةٌ.

(٥) مَعَاقِلُ: جمعُ مَعْقِلٍ، وهو الموضع المُمْتَنِعُ، والأَغْفَارُ: جمعُ غُفْرٍ، وهو وَلَدُ الوَعْل.

(٦) ضَرَبُوا عَلِيًّا يومَ بَدرٍ ضَرْبَةً: يريد عليَّ بنَ مَسْعودِ بن مازِنٍ الغَسَّانيَّ، وإليه تُنْسَب بنو كِنانة؛ لأنه كَفَلَ ولدَ أخيه عبدَ مَناةَ بن كِنَانةَ بعد وفاته فَنُسِبُوا إليه.

(٧) أُماري، أي: أُجَادِل.

(٨) خَوتِ النُّجومُ، أي: غَرَبَتْ ولم يكن لها تأثير على زَعمهم. والطَّارِقون: الذين يأتُون بالليل، ومن أتاكَ لَيلاً فقد طَرَقَكَ، والمَقارِي: جَمْعُ مِقْرَاةٍ، وهي الجَفْنَةُ التي يُصنعُ فيها الطَّعامُ للأضياف.

(٩) ينظر: البداية النهاية (٤/ ٤٣٠).

قال ابن هشام: ويُقال: إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له حين أنشده [من البسيط]:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ ....

«لَوْلا ذَكَرْتَ الْأَنْصَارَ بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّهُمْ لِذَلِكَ أَهْلٌ» فقال كعبٌ هذه الأبياتَ، وَهِيَ في قصيدةٍ له.

قال ابن هشام: وذُكر لي عن علي بن زيد بن جُدْعان أنه قال: أنشد كعب بن زهير رسولَ الله ﷺ في المسجد [من البسيط]:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ .... [١٠٥٧]

غَزْوَةُ تَبُوكَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ[(١)]

[قال: حدَّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدَّثنا زياد بن عبد الله الْبَكَّائي،

= وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٢٩ـ٤٣٠).

[١٠٥٧] إسناده ضعيف؛ لانقطاعه وضعف علي بن زيد بن جدعان.

فالانقطاع المذكور بين ابن هشام وعلي بن زيد، وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.

قاله الحافظ في «التقريب» (٢/ ٣٧).

والأثر ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٣٠) عن ابن هشام به.

---

(١) تَبُوك ـ بفتح الفوقية وضم الموحدة وهي أقصى أثر رسول الله ـ ﷺ ـ وهي في طرف الشام من جهة القبلة، وبينها وبين المدينة المشرفة اثنتا عشرة مرحلة. قال في النور: وكذا قالوا، وقد سرناها مع الحجيج في اثنتي عشرة مرحلة، وبينها وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة. والمشهور ترك صرفها للعلمية والتأنيث. وفي حديث كعب: ولم يذكرني رسول الله ـ ﷺ ـ حتى بلغ تبوكاً كذا في جميع النسخ في صحيح البخاري وأكثر نسخ صحيح مسلم تغليباً للموضع، وكذا قال النووي والحافظ وجَمعٌ. قال في التقريب: وهو سَهْوٌ؛ لأن علَّة منعه كونه على مثال الفعل «تَقُول» فالمذكر والمؤنث في ذلك سواءٌ.

قال في «الروض» تبعاً لابن قتيبة: سُمِّيت الغزوة بعين تبوك، وهي العين التي أمر رسول الله ـ ﷺ ـ ألا يمسوا من مائِها شيئاً فسبق إليها رجلان، وهي تبض بشيء من ماء فجعلا يدخلا فيها سهمين ليكثر ماؤها، فسبهما رسول الله ـ ﷺ ـ وقال لهما رسول الله ـ ﷺ ـ: ما زلتما تَبُوكانها منذ اليوم، فلذلك سُمِّيت العين تبوك. البوكُ كالنَّقْشِ والْحَفْرِ في الشيء، ويُقال: منه باك الحمارُ الأتانَ يَبُوكها إذا نزا عَليهَا. قال الحافظ: وقعت تسْمِيتها بذلك في الأحاديث الصحيحة «إنكم ستأتون غداً عين تبوك». رواه مالك ومسلم. قلت: صريح الحديث دالٌ على أن تبوك اسم على ذلك الموضع الذي فيه العين المذكورة. والنبي ـ ﷺ ـ قال هذا القول قَبْلَ أن يَصلِ تَبُوك بيوم. وذكرها في المحكم في الثلاثي الصحيح، وذكرها ابن قتيبة والجوهري وابن الأثير وغيرهم في المُعْتَل في بوك.

ووقع في الصحيح ذكرها بعد حجة الوَداع. قال الحافظ: وهو خطأ، ولا خلاف أنه قبلها ولا أظن =

عن محمد بن إسحاق الْمُطَّلِبي] قَال: ثم أقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ ما بين ذي الحجَّةِ إلى رَجَبٍ، ثم أمر الناسَ بِالتَّهَيُّؤ لغزوِ الروم، وقد ذَكَرَ لنا الزُّهْرِيُّ ويزيد بن رُومَان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم من علمائنا، كُلٌّ حَدَّث في غزوة تَبُوكَ ما بلغه عنها، وبعض القوم يُحَدِّث ما لا يُحَدِّث بعضٌ؛ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزوِ الروم، وذلك في زَمَنِ عُسْرَةٍ من الناس، وَشِدَّةٍ من الحرّ، وجَدْب من البلاء، وحين طابتِ الثمارُ، والناسُ يُحِبُّون الْمُقَام في ثمارهم وَظِلالِهِمْ، ويكرهون الشُّخوص على الحالِ من الزمانِ الذي هم عليه، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قَلَّما يَخْرُجُ في

= ذلك إلا من النُّسَّاخ، فإن غزوة تبوك كانت في رجب سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف. وعند ابن عائذ من حديث ابن عباس: أنها كانت بعد الطائف بستة أشهر، وليس مخالفاً لقَوْلِ من قال: إنها في رجب إذا حذفنا الكسور؛ لأنه ـ ﷺ ـ قد دخل المدينة من رجوعه إلى الطَّائف في ذي الحجة.

ويُقَال: إنها غَزْوَة العُسْرة والفاضحة: اخْتُلِفَ في سَبَبها؛ فقيل: إنَّ جماعةً من الأنباط الذين يَقْدَمون بالزيت من الشام إلى المدينة ذكروا للمسلمين أن الرُّومَ جمعوا جُمُوعاً كثيرة بالشام، وأن هِرَقل قد رزق أصحابه لسنة، وأجْلَبَت معهم لخمٌ وجُذَام وعَامِلَة وغَسَّان وغيرهم من متنصّرة العرب، وجاءَت مقدّمتهم إلى البَلْقاءِ ولم يكن لذلك حقيقة، وَلَمَّا بلغ رسول الله ـ ﷺ ـ ذلك نَدَب الناس إلى الخروج ـ نقله محمد بن عمر ومحمد بن سعد.

وروى الطبراني بسند ضعيف عن عمران بن حُصَيْن ـ رضي الله عنهما قال: كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل: أن هذا الرجل الذي قد خرج يَدّعي النُّبوة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم. فإن كنت تريد أن تلحق دينك فالآن، فبعث رَجُلاً من عظمائهم وَجَهّز معه أربعين ألْفاً فبلغ ذلك رسولَ الله ـ ﷺ ـ فأمر بالجهاد.

وقيل: إنَّ اليهود قالوا لرسولِ الله ـ ﷺ ـ: يا أبا القاسم إنْ كنْتَ صَادِقاً فالحق بالشام فإنَّها أرض الأنبياء، فغزا تبوك لا يريدُ إلاَّ الشام. فَلَمّا بَلَغ، تبوكَ أنزل الله تعالى الآيات من سورة بني إسرائيل: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ [الإسراء: ٧٦] رواه ابن أبي حاتم، وأبو سعد، النَّيْسَابُوري، والبيهقي بإسنادٍ حسن.

وقيل: إن الله سبحانه وتعالى لما منع المشركين من قربات المسجد الحرام في الحج وغيره قالت قريش: لَتُقْطَعَنّ عنا المتاجر والأسواق ولَيَذْهَبَنّ ما كُنا نصيبُ مِنْها، فعوَّضهم الله تعالى ـ عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتّى يسلموا أو يُعْطُوا الجزية عن يَدٍ وهم صاغرون كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٨، ٢٩] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة: ١٢٣] وعزم رسولُ الله ـ ﷺ ـ على قتال الروم؛ لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدَّعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام، رواه ابن مردويه عن ابن عباس وابن أبي شيبة وابن المنذر عن مجاهد، وابن جرير عن سعيد بن جُبير. ينظر السبل (٥/٤٣٣، ٤٧٩، ٤٨٠).

غَزْوَة إلاَّ كَنَى عنها، وأخبر أنه يريد غَيْرَ الوجه الذي يَضْمُدُ له[1]، إلاَّ ما كان من غزوةِ تبوك؛ فإنه بَيَّنَها للناسِ لِبُعْدِ الشُّقَّة[2] وشدَّةِ الزمانِ وكثرةِ العدو الذي يَضْمُدُ له؛ ليتأَهَّبَ النَّاسُ لذلك أُهْبَتَهُ، فأمر الناسَ بالجهازِ، وأخبرهم أنه يريدُ الرومَ، فقال رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم وهو في جهازه ذلك للجَدِّ بن قَيْسٍ أحدِ بني سَلَمة: «يَا جَدُّ، هَلْ لَكَ الْعَامَ فِي جِلاَدِ بَنِي الأَصْفَرِ»[3]؟ فقال: يا رسولَ الله، أَوَ تَأْذَنُ لِي ولا تَفْتِنِّي، فوالله لقد عَرَفَ قومي (٢٥٢/ أ) أنه مَا مِنْ رَجُلٍ بأشدَّ عُجْبًا بالنساء مِنِّي، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أَنْ لا أَصْبِرَ، فأعرض عنه رسولُ اللَّهِ ﷺ، وقال: «قَدْ أَذِنْتُ لَكَ» ففي الجد بن قيس نزلت هـذه الآيـة: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة: ٤٩] أي: إن كان إنما خَشِيَ الفتنةَ مِنْ نِسَاءِ بني الأصفر، وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنةِ أكبرُ بتخلُّفه عَنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ، والرَّغْبَةِ بِنَفْسِهِ عن نفسه، يقولُ: وَإِنَّ جَهَنَّمَ لمن ورائه، وقال قومٌ من المنافقين بعضُهم لبعض: لا تنفروا في الحر؛ زَهَادَةً في الجهاد وَشَكًّا في الحقِّ وَإِرْجَافًا برسُولِ اللَّهِ ﷺ، فأنزل الله (تبارك وتعالى) فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۚ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة: ٨١ ـ ٨٢] [١٠٥٨].

رسول الله يأمر بتحريق بيت يجتمع فيه المنافقون:

قال ابن هشام: وحدثني الثقةُ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن، عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة، عن أبيه، عن جده، قال: بَلَغَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن ناسًا من المنافقين يجتمعون في بيتِ سُوَيْلم اليهوديِّ، وكان بيتُهُ عند جَاسُومَ[4]، يُثَبِّطونَ الناسَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ في غزوةِ تَبُوكَ، فبعث إليهم النبيُّ ﷺ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ في نَفَرٍ من أصحابه، وأمره أن يُحَرِّقَ عَليهم بَيْتَ سُوَيْلم، ففعل طلحةُ، فاقتحم

[١٠٥٨] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٨٧) رقم (١٦٨٠٣) وفي «تاريخه» (٣/ ١٠١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢١٢ـ٢١٤) كلهم من طريق ابن إسحاق به.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٦ـ٧) من طريق ابن إسحاق أيضاً.

---

(١) يَضْمُدُ إليه، أي: يَقْصِدُ، يُقال: صَمَدتُ إليه: إذا قَصَدْتَ إليه.
(٢) والشُّقَّة: بُعْدِ المسيرِ.
(٣) بني الأَصْفَرِ. يعني الرُّومَ، يُقال: إنَّهم من أولاد عِيصُو بْنِ إسحاق عليه السَّلام، وكان فيما يُقال مُصْفَرَّ اللَّوْن، وأمَّا الرُّومُ القديمةُ فهُمْ يُونانُ.
(٤) جَاسُومَ: هو اسمُ مَوْضِعٍ.

الضَّحَّاكُ بن خليفة من ظهرِ البيت، فَانْكَسَرَتْ رجلُه، واقتحم أصحابُهُ فأفلتوا، فقال الضَّحَّاكُ في ذلك [من الطويل]:

كَادَتْ، وَبَيْتِ اللهِ، نَارُ مُحَمَّدٍ ... يَشِيطُ بِهَا الضَّحَّاكُ وَابْنُ أُبَيْرِقِ[1]

وَظَنَّتْ وَقَدْ طَبَّقْتُ كَبْسَ سُوَيْلِمٍ ... أَنُوءُ عَلَى رِجْلِي كَسِيراً وَمِرْفَقِي[2]

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لاَ أَعُودُ لِمِثْلِهَا ... أَخَافُ وَمَنْ تَشْمَلْ بِهِ النَّارُ يُحْرَقِ[3] [١٠٥٩]

قال ابن إسحاق: ثم إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ جَدَّ في سفره، وأمر الناس بالجهاز والانكماش، وَحَضَّ أَهْلَ الغِنَى على النفقة والحملان في سبيل الله، فحمل رجالٌ من أهل الغنى، واحتسبوا، وأنفق عثمانُ بنُ عَفَّانَ في ذلك نَفقةً عَظِيمةً لَم يُنْفِقْ أحدٌ مثلها [١٠٦٠].

نفقة عثمان بن عفان:

قال ابن هشام: حدثني من أَثِقُ به أَنَّ عثمان بن عَفَّان أَنْفَقَ في جيشِ الْعُسْرَةِ في غزوة تبوك أَلْفَ دِينارٍ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ، ارْضَ عَنْ عُثْمَانَ، فَإِنِّي عَنْهُ رَاضٍ» [١٠٦١].

[١٠٥٩] إسناده ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن هشام وشيخ شيخه.

وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٧) من طريق ابن هشام.

[١٠٦٠] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢١٤) من طريق ابن إسحاق به.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٧) من طريق ابن إسحاق أيضاً.

[١٠٦١] إسناده ضعيف.

شيخ ابن هشام مجهول ثم هو معضل؛ لأن شيخ ابن هشام لم يدرك هذه القصة.

والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٧) من طريق ابن هشام.

أما قوله: «اللَّهُم ارضَ عن عثمان».

فذكره الهندي في «كنز العمال» (٣٢٨٤٢) عن يوسف بن سهل بن يوسف الأنصاري عن أبيه عن جدِّه.

---

(١) يَشِيطُ، أي: يَخْتَرِق، يُقال: شاط يَشِيطُ: إذا التَهَب واختَرَقَ.

(٢) طَبَّقْتُ: يعني عَلَوْتُ، كَبْسَ سُوَيْلِم: هو البيتُ الصَّغِيرُ، وقد رُوِيَ كَيْسَ بالياء، ورُوِيَ أيضاً كَيْشَ، والصَّحِيحُ كَبْسَ بالباء المنقوطَة بوَاحِدَةٍ من أسفلها والسِّين المهملة. أَنُوءُ، أي: أنهَضُ مُتَثَاقِلاً.

(٣) ينظر: البداية والنهاية (٥/ ٧).